الكتاب الجامع للفضائل

(٤٦)

فضل المرض وعيادة المريض

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل المرض وعيادة المريض

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

مقدمة.

المرض نعمة ومنحة.

المرض علامة على محبة الله للعبد.

فضل وفوائد المرض

أولًا: تكفير للسيئات.

ثانيًا: ومن فوائد المرض: شهود الجزاء.

ثواب صداع الرأس.

ثواب من ذهب بصره فصبر واحتسب.

ثواب الحُمَّى.

ثواب الصرع والصبر عليه.

ثواب من مات بالطاعون.

ثواب المبطون.

ثواب صاحب ذاتِ الجنبِ والنفساءِ تموتُ وولدها في بطنها.

ثالثًا: ومن فوائد المرض: رفع الدرجات.

رابعًا: ومن فوائد المرض: الفوز بالجنة.

خامسًا: جملة من الفوائد والحكم للمرض.

١- معرفة عز الربوبية وقهرها.

٢- معرفة ذل العبودية.

٣- الإخلاص لله - عز وجل-.

٤- الإنابة (وهي الرجوع إلى الله - عز وجل- والإقبال عليه).

٥- التضرع والدعاء.

٦- رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم.

٧- المرض يطهر القلب من الأمراض.

٨- المرض يمنع الفخر والخيلاء والتكبر والتجبر.

٩- معرفة قدر نعمة العافية.

أسباب الصبر على المرض

١- العلم بأن المرض مقدّر من عند الله تعالى.

٢- أن يعلم المريض أن مرضه قد يكون أعظم من هذا فليحمله هذا على الحمد والرضا.

٣- أن يعلم المريض أن هذا البلاء (المرض) ما نزل إلا بذنب وقع فيه ولم يتب منه.

٤- أن يذكر المريض ابتلاء من كان من أهل الفضل والصلاح ويتسلى بسيرتهم العطرة، وصبرهم على المرض وكيف كانت عاقبتهم.

همسات في أذن المريض

الهمسة الأولى... عليك أن تحسن الظن بالله تعالى.

الهمسة الثانية: إياك واليأس والقنوط من رحمة الله.

الهمسة الثالثة: إياك أن تشكو الله – تعالى- إلى خلقه.

الهمسة الرابعة: أيها المريض! عليك بالدعـاء.

همسة في أذن أولياء المريض: عليكم بالرفق به وأن تمنعوه مما يؤذيه ويضرَّه.

ثانيًا: فضل عيادة المريض

١- من عاد مريضًا فهو في حفظ الله ورعايته.

٢- عيادة المريض ترقق القلب، وتذكر الآخرة.

٣- عائد المريض يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها.

٤- عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع.

٥- عائد المريض تدعو له الملائكة.

٦- عائد المريض يستغفر له سبعون ألف مَلك.

٧- عيادة المريض مع بعض خصال الخير سبيل لدخول الجنة.

هدية من خير البرية- صلى الله عليه وسلم-.

مقدمة:

أخي المريض... شفاك الله وعفاك، وأبرأك من كل سقم وداواك، وقربك بمرضك إليه وأدناك، وأخرجك من مرضك ولا سيئة عليك وحيَّاك، وجعل أعالي الفردوس مأواك، ووجهه يوم المزيد أراك. وأرجو من الله تعالى أن تكون هذه الكلمات بلسمًا شافيًا، وعونًا مداويًا.

حبيبي في الله ... اعلم أن هذا المرض علامة على محبة الله لك.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ...".** (صَحِيح الْجَامِع: ٢٨٥)

وأخرجه الإمام أحمد والترمذي أيضًا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ، مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ..."*.الحديث*** (صحيح الجامع: ٢١١٠) (الصحيحة: ١٤٦).

وانظر أيها المريض إلى قوله: **"إذا أحب"** فليس الشأن أن تحب الله إنما الشأن أن يحبك الله، وأهل البلاء هم أهل محبته. **وفي الحديث:** **" والله، لا يُلقي اللهُ حبيبه في النار".**

(رواه الحاكم من حديث أنس ﷺ وهو في صحيح الجامع: ٧٠٩٥).

وكلما ازدادت المحبة ازداد البلاء حتى يُزاد في الجزاء والأجر.

ولذلك تجد أن أشد الناس ابتلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل؛ لأنهم أحب الخلق إلى الله تعالى.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه-رضي الله عنهما- قال: **" قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِه، فإنَّ كان في دينِه صُلْبًا، اشْتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُلِيَ على قدْرِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ ".** (صحيح الجامع:٩٩٢) (صحيح الترغيب والترهيب:٣٤٠٢)

ودليل هذا أنك تجد النبي ﷺ وهو أحب الخلق إلى الحق- سبحانه وتعالى- ومع ذلك يشتد عليه الوجع في مرضه.

تقول عائشة -رضي الله عنها-: **" ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ ".** (رواه البخاري ومسلم)

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: **" دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[1]، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك تُوعَك وعكًا شديدًا!! فقال رسول الله ﷺ: " أجل، إني أوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم " قال: فقلت: ذلك بأنَّ لك أجرين؟، فقال رسول الله ﷺ: " أجل، وما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حَطَّ الله به سيئاته كما تَحُطُّ[2] الشجرةُ ورقها ".**

١ ـ الوعك: هو الحُمَّى، وقيل: ألم الحمى.
٢ ـ تحط: تلقيه منثرًا. (شرح مسلم للنووي: ٣٦٣/١٦).

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلتُ على النَّبيِّ ﷺ وهو يُوعَكُ، فوضَعْتُ يدي عليه فوجدْتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ فوقَ اللِّحافِ، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما أشَدَّها عليك! قال:" إنَّا كذلك يُضعَّفُ لنا البلاءُ ويُضَعَّفُ لنا الأجرُ". قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أشَدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ. قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ الصَّالحونَ، إن كان أحَدُهم ليُبتَلى بالفَقرِ حتى ما يجِدُ أحَدُهم إلَّا العباءةَ يَحويها[1]، وإن كان أحَدُهم لَيفرَحُ بالبَلاءِ كما يَفرَحُ أحَدُكم بالرَّخاءِ!". (صحيح ابن ماجه: ٣٢٥٠)

- *وفي رواية قَالَ ﷺ:* دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَوْعُوكٌ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَارَتَهَا فَوْقَ الْقَطِيفَةِ، فَقُلْتُ: مَا أَشَدَّ حَرَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّا كَذَلِكَ؛ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟! قَالَ:" الْأَنْبِيَاءُ "، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟! قَالَ:" ثُمَّ الْعُلَمَاءُ "، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟! قَالَ:" ثُمَّ الصَّالِحُونَ، كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ؛ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَلْبَسُهَا، وَيُبْتَلَى بِالْقَمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَلَأَحَدُهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ".
(صَحِيح الْجَامِع: ٩٩٥) (الصَّحِيحَة: ١٤٤) (صَحِيح التَّرْغِيبِ :٣٤٠٣).

أخرج الإمام أحمد والنسائي والحاكم عن فاطمة بنت اليمان -رضي الله عنها- قالت: أتينا رسول الله ﷺ نعوده في نساء، فإذا بسقاء[2] معلق نحوه يقطر ماؤه عليه من شدة ما يجد من حر الحمى، قلنا: يا رسول الله، لو دعوت الله فشفاك، فقال رسول الله ﷺ:" إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ". (الصحيحة: ١٤٥)

وأخرج أبو يعلى في مسنده بسند صحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان عِرْقُ الكُلْيَة - وهي الخاصرة - تأخذ رسول الله ﷺ شهرًا، ما يستطيع أن يخرج إلى الناس، ولقد رأيته يُكْرَبُ حتى آخذ بيده فأتفل فيها بالقرآن، ثم أكبها على وجهه ألتمس بذلك بركة القران وبركة يده، فأقول: يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فادع الله يفرج عنك ما أنت فيه، فيقول:" يا عائشة أنا أشد الناس بلاء ".
(صحيح مسند أبي يعلى: ٤٧٦٩)

والسر في أن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء فالأمثل فالأمثل؛ أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد، ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد، وقيل لأمهات المؤمنين:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠)

ولا ننسى ما قصَّه النبي ﷺ عن ابتلاء الله تعالى لأيوب عليه السلام بالمرض الذي مكث فيه أيوب ثمانية عشر عامًا.

١ ـ يُحَوِّيها: أي يجمعها (لسان العرب: ١٤/٢٠٨)، وجاءت في بعض الروايات بلفظ: "يجوبُها": أي يقطع وسطها ليلبسها.
٢ ـ السقاء: ظرف الماء من الجلد، ويجمع على أسقية. (النهاية: ٢/٣٠١)

ولا ننسى كذلك قصة مرض يعقوب عليه السلام ***وقد ذكرها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في حديث طويل وفيه:*** " ... جاء بعض يهود المدينة، إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟! فقَالَ ﷺ:" فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى عليه السلام هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ) مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ للهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ! فقَالَ ﷺ:" اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ ".

– وفي رواية:" كَانَ يعقوب عليه السلام يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا[1]، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ[2] إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا، فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا[3] ".(رواه الإمام أحمد والترمذي)

فالأنبياء في بلائهم متفاوتون ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٦٣) والصالحون كذلك في مصابهم متباينون فهم ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران:١١٣)

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: " إن الصالحين يُشدَّد عليهم ". (صحيح الجامع: ١٦٦٠)

وها هو عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه عندما أسلم أصيب بالمرض وقد كان قبل الإسلام لا يصاب بالمرض إلا بالأسقام

فقد أخرج الإمام مسلم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال رسول الله ﷺ: ضع يدك على الذي يألمُ من جسدك وقل: "بسم الله" ثلاثًا، وقل: سبع مرات "أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ".

– وفي رواية عند الإمام مالك بلفظ: " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" قال: ففعلتُ ذلك، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم ".

فانظر معي كيف أن البلاء والمرض بدء منذ أسلم

وصدق النبي ﷺ حيث قال: " وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ".

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع:٢١١٠)

ولهذا كان الحسن البصري–رحمه الله– يقول: " كان الرجل منهم أو من المسلمين إذا مر به عام لم يُصَب في نفسه ولا ماله قال: ما لنا أتَوَدَّعَ الله منا؟ ".

يعنى أنهم كانوا يعلمون أن الابتلاء محبة من الله لعبده، فحين يتأخر البلاء يعدون هذه عقوبة، وعدم إرادة الخير بهم.

١- عِرْق النَّسَا: وَجَعٌ يَبْتَدِئُ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ، وَيَنْزِلُ عَلَى الْفَخِذِ، وَرُبَّمَا امْتَدَّ إِلَى الرُّكْبَةِ، أَوْإِلَى الْكَعْبِ.
٢- فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ أَيْ: مِنْ الأدوية والأطعمة والمأكولات وَالْمَشْرُوبَاتِ إلا لحوم الإبل وألبانها هي موافقة وفيها شفاء لعرق النسا.
٣- فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا: أي على نفسه، يعني لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا (تحفة الأحوذي :٧/ ٤٤٤).

فيأيها المريض ... أعلم إن مرضك فضل من الله؛ ونعمة منه عليك، ودليل على محبته لك.

فمن علامة محبة الله تعالى للمريض أنه يكتب له في مرضه ما كان يعمل صحيحًا.

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق:٢٥)

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير مقطوع بل متواصل، فالعبد المؤمن إذا مرض وحيل بينه وبين العمل الصالح فإن الله تعالى يجري عليه ما كان يعمل صحيحًا.

- ***فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" إذا مَرِضَ العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا ".**

- ***وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:*** **" ما مِن أحدٍ من الناس يُصابُ ببلاء في جسده، إلاَّ أمر اللهُ- تعالى- الملائكة الذين يحفظونه فقال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢١)

- ***وفي رواية:*** **" ما مِن مسلم يُصابُ في جسده، إلاَّ أمر اللهُ- تعالى- الحفظة: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير ما كان يعمل، ما دام محبوسًا في وثاقي ".** (صحيح الجامع:٥٧٦١)

- ***وفي رواية:*** **" إن العبد إذا كان على طريقةٍ حسنةٍ من العبادة ثم مَرِضَ قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أطْلُقَهُ أو أكْفِتَهُ إليَّ[1] ".**

- ***وعند الإمام أحمد أيضًا بسند صحيح عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته، فيقول الرب ﷻ اختموا له مثل عمله حتى يبرأ أو يموت ".**

- ***وأخرج البزار عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:*** **" إذا اشتكي العبد المسلم أمر الله- تبارك وتعالى- الذين يكتبون عمله فقال: اكتبوا عمله إذا كان طليقًا حتى أقبضه أو أُطلقه ".**

- ***وفي رواية:*** **إذا مرض العبدُ قال اللهُ للكرام الكاتبين: اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمل، حتى أقبضه أو أُعافيه ".** (صحيح الجامع: ٨٠٠)

زار الإمام أحمد أحد تلاميذه وهو مريض فصبَّره بقوله: " إن لك أجرك وأنت سليم غير مريض، وأجرك وأنت مريض غير سليم ".

أي أنه يجرى عليه ما كان يناله من أجر في صحته بالإضافة إلى أجر المرض.

أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ قال: **" كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حَبَسَهُم المرض ".**

١ـ أكْفِتَهُ إلي: بكاف ثم فاء ثم تاء مثناة فوق، ومعناه: أي أضمه إليَّ وأقبضه، أي: أُميتَه.

وأخرج الحاكم من حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: أنا قيدتُ، عبدي بقيد من قيودي فإن أقبضه أغفر له، وإن أعافه فحينئذ يقعد ولا ذنب عليه ".**

(صحيح الجامع:١٦٧٣)

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته، فيقول الرب ﷻ: اختموا له مثل عمله حتى يبرأ أو يموت ".**

وأخرج الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى من حديث أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ قَالَ: **" رُحْتُ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَهَجَّرْتُ[1] بِالرَّوَاحِ، فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ ﷺ وَالصُّنَابِحِيَّ مَعَهُ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدَانِ يَرْحَمُكُمَا اللهُ؟ فَقَالَا: نُرِيدُ هَاهُنَا إِلَى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَا لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةٍ، فَقَالَ لَهُ شَدَّادٌ : أَبْشِرْ بِكَفَّارَاتِ السَّيِّئَاتِ، وَحَطِّ الْخَطَايَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ :إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِي، فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ مِنْ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل للحفظة: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ ".**

(صحيح الجامع: ٤٣٠٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٣)

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا ابتلى الله ﷻ العبد المسلمَ ببلاء في جسده، قال الله ﷻ لِلْمَلك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه غَسَلَهُ[2] وطَهره[3] وإنْ قبضه غَفَرَ له ورحمه ".** (صحيح الجامع: ٢٥٨)

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن القاسم بن مخيمرة عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **"ما من أحد يمرض إلا كتب له مثل ما كان يعمل وهو صحيح ".**

أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول: **" من كان له عمل يعمله فشغله عنه مرض أو سفر فإنه يكتب له صالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ".**

أخي الحبيب... احرص على الطاعات وداوم عليها، فإن فعلت فأنت أحد ثلاث: إما أن تموت فيختم لك بعمل صالح، وإما أن تصاب بمرض فيجري عليك من الأعمال الصالحة ما كنت تعمل صحيحًا، وإما أن يعافيك الله ويمتعك بالصحة فأنت على خير كذلك؛ لأنك تزداد قربًا من الله بكثرة الطاعات.

١- هجرت: أي بكَّرت.
٢- غسّله: بالتشديد ويخفف، أي: نظّفه. (قاله القاري)
٣- طهَّره: من الذنوب لأن المرض كفّرها.

ومما يدل كذلك على محبة الله لك أيها المريض وإرادة الخير بك أنه يجازيك بأعمالك في الدنيا قبل الآخرة فتلقى الله سالمًا طاهرًا منها.

فنحن بشر ومن طبيعة البشر الوقوع في الذنب وهذا لا يسلم منه أحد إلا الأنبياء فهم معصومون.

فقد أخرج ابن ماجه والترمذي بسند حسن عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" كل ابن آدَمَ خطاءٌ وخيرُ الخطائينَ التوَّابُونَ ".**

وصدق القائل حيث قال:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

الجواب: لا أحد.

فمن أراد الله به خيرًا ابتلاه في جسده أو ماله أو ولده أو في أهله؛ حتى يطهره من الذنوب فيوافيه يوم القيامة ولا ذنب له، وهذا هو عين الخير.

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِى به يوم القيامة ".**

(صحيح الجامع: ٣٠٨) (الصحيحة:١٢٢٠)

قال الطيبي –رحمه الله– كما في" شرح المشكاة: ٣/ ٣١٠ ": قوله:**" أمسك عنه بذنبه "** أي: أمسكه عنه لما يستحقه بسبب ذنبه من العقوبة، والمعنى: لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها، فيستوفى حقه من العقاب. فمن أمسك الله عنه مواد التطهير فلم يصب في جسده فهو على خطر.

ولذلك رد النبي ﷺ امرأة ولم يتزوجها لأنها لم تمرض.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أنس ﷺ: **" أن امرأةً أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: ابنةٌ لي كذا وكذا، فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تُصْدَعْ، ولم تشتكِ شيئًا قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك ".**

ولعل النبي ﷺ رد هذه المرأة لأنه ﷺ هو القائل: **"إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم"** فالابتلاء علامة على محبة الله للعبد، أو لعل النبي ﷺ لما علم أنها لم تمرض ولم تشتكِ أدرك أن في دينها رقةً وأنها ليست كفئًا. **فهو القائل ﷺ كما عند أحمد والترمذي والنسائي:** **" يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقة ابتلى على قدر دينه ".**

جاء في كتاب الزهد لهناد ص ٢٤٧ وكذلك كتاب الزهد للإمام أحمد ص ١٦٣ : عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: " إنكم ترون الكافر من أصحّ الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايم الله لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان ".

وعن قيس بن أبي حازم –رحمه الله– قال: طَلَّقَ خالد بن الوليد ﷺ امرأته ثم أحسن عليها الثناء، فقيل له: يا أبا سليمان لأي شيء طلقتها؟ قال: ما طلقتها لأمرٍ رابني منها ولا ساءني، ولكن لم يُصبْها عندي بلاء ".

عن هلال بن يَسَاف ﷺ قال:" كنا قعودًا عند عمار بن ياسر ﷺ فذكروا الأوجاع، فقال أعرابيّ: ما اشتكيت قط، فقال عمار: ما أنت منا . أو لست منا . إن المسلم ليبتلي ببلاء فَتُحَطُّ عنه ذنوبه كما يُحَط الورق من الشجر وإن الكافر– أو قال: الفاجر– يبتلى ببلاء فمثله مثل بعير أُطلق فلم يدر لِمَ أطلق، وعُقِلَ فلم يدر لِمَ عُقل ".

فالمؤمن يعرف لماذا مرض؟ وإذا عرف وشُفي يعلم من أين أُتِيَ، أما الفاجر فلا يدري لماذا قُيد وربط ومُنع، وأيضًا لا يعلم لماذا أُطلق وترك وعُوفي.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال:" دخل أعرابيٌّ على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أخذتك أمُّ مِلْدَم[1] قط؟ قال: وما أمُّ مِلْدَم؟ قال: حرٌّ يكون بين الجلد واللحم، قال: ما وجدتُ هذا قطّ، قال: فهل أخذك هذا الصداع؟ قال: وما هذا الصداع؟ قال: عرقٌ يضرب على الإنسان في رأسه، قال: ما وجدت هذا قطّ، فلما ولّى، قال النبي ﷺ: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ". (صحيح الأدب المفرد، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح).

وليس معنى هذا الحديث أن كل من عافاه الله من الأمراض يكون من أهل النار ولابد، ولكن النبي ﷺ أراد إعلام أمته أن المرء لا يكاد يتعرى عن الذنوب والمعاصي، وأن النار تجب له بذلك إن لم يتفضل الله ﷻ عليه بالعفو والمغفرة، وقد جعل الله الأمراض والمصائب وسائر أصناف البلاء سببًا للعفو والمغفرة.

قال ابن حبان –رحمه الله– كما في صحيحه :٧/١٧٩" في شرح قوله ﷺ:"من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا " لفظة إخبار عن شيء مرادها الزجر عن الركون إلى ذلك الشيء وقلّة الصبر على ضدّه، وذلك أن الله . جل وعلا . جعل العلل في هذه الدنيا والغموم والأحزانَ سبب تكفير الخطايا عن المسلمين، فأراد ﷺ إعلام أمته أن المرء لا يكاد يتعرى عن مقارفة ما نهى الله عنه في أيامه ولياليه، وإيجاب النار له بذلك إن لم يتفضل عليه بالعفو، فكأن كل إنسان مرتهن بما كسبت يداه، والعلل تكفر بعضها عنه في هذه الدنيا، لا أنّ من عوفي في هذه الدنيا يكون من أهل النار". اهـ.

وصدق النبي ﷺ حيث قال كما في حديث سابق:" إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ".

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ (النساء: ١٢٣)

١ـ أم ملدم: ـ أم مِلْدَم: هي كنية الحمى (النهاية:٤/٢٤٩)

أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: **أن رجلًا تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (سورة النساء: ١٢٣)، فقال: إنا لنجزي بكل ما عملنا؟ هَلَكْنا إذًا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: نعم. يُجْزَي به في الدنيا من مصيبةٍ في جسده مما يؤذيه ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٩)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (سورة النساء: ١٢٣) بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال النبي ﷺ: قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارةٌ، حتى النكبة يُنْكَبُها والشوكُة يُشوكُهَا ".**

قال النووي-رحمه الله- كما في شرح مسلم: ١٦/٣٦٧: قوله:" **قاربوا**" أي: اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا، "**وسددوا**" أي: اقصدوا السداد، "**والنكبة**" هي مثل العثرة يعثرها برجله، وربما جرحت أصبعه، **وأصل النكب:** الكبّ والقلب.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي بكر ﷺ قال: **يا رسول الله! كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٢٣) وكُلُّ شيء عملناه جُزِينا به، فقال النبي ﷺ: غفر اللهُ لك يا أبا بكر، أَلَسْتَ تمرضُ؟ أَلَسْتَ تحزن؟ ألست يُصيبك اللَّأْوَاءُ[1]؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ما تجزون به ".**(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٣٠)

وصدق السلف حيث قالوا: **"لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ".**

واعلم أيها المريض... أن أي بلاءٍ مهما كان بالنسبة للنار فهو عافية، وأن أي نعيم بالنسبة للجنة فهو سراب، فأيهما أفضل لك؟ أن يبتليك الله بالمصائب ليطهرك من المعايب؟ أم يعافيك في الدنيا من الأمراض والأسقام وليس لك في الآخرة إلا لفح النار؟ ونحن ضعفاء لا نقوى على لفحة أو غمسة أو صبغة في جهنم فمعها ننسى كل نعيم.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يؤتى بأنعم أهل الأرض من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله لا يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مَرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ".**

فيا له من حديث ينزل على هذه القلوب المحترقة بلفح المرض فيهدئ من روعها ويخفف من آلامها، وترضى بهذا المرض والذي يغسلها ويطهرها من الذنوب والزلات ويكتب لها الحسنات ويرفع لها الدرجات.

---

١ ـ اللأواء: شدة الضيق.

فهذا المرض دواء وشفاء، سقاه العليم الحكيم لمن أراد به الخير.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه[1] ".**

أَيْ: يُصِبْ مِنْهُ بِالْمَرَضِ الْمُؤَثِّرِ فِي صِحَّتِهِ، وَأَخْذِ الْمَالِ الْمُوَثِّرِ فِي غِنَاهُ، وَالْحُزْنِ الْمُؤَثِّرِ فِي سُرُورِهِ، وَالشِّدَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي صَلَاحِ حَالِهِ، فَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَا أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْخَيْرِ. (المنتقى شرح الموطأ ص ٣٥٧).

قال البيضاوي-رحمه الله- في شرح الحديث السابق: أي: يُوصل إليه المصائب ليطهره من الذنوب ويرفع درجته، وهي اسمٌ لكل مكروه؛ وذلك لأن الابتلاء بالمصائب طبٌّ إلهي يداوي به الإنسان من أمراض الذنوب المهلكة. اهـ. (كذا في حاشية عبد الباقي على الموطأ: ٩٤١/٢)

وقال أبو عبيد الهروي-رحمه الله-:" ومعنى الحديث: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها". اهـ.

فهذا المرض من جملة الابتلاءات التي يبتلي الله به العبد وفيه ما فيه من الحِكَم الخفية وخير كثير من رب البرية.

فلابد أن نعلم أن الله – سبحانه وتعالى- لا يقضي شيئًا كونًا ولا شرعًا إلا وفيه الخير والرحمة لعباده، وفيه الحكمة البالغة التي تعجز عن إدراكه عقول البشر

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور: ١١).

يقول الإمام ابن القيم-رحمه الله- كما في كتابه الفوائد صـ ٢٦:" في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حُسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعلَّ مضرَّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حُسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

---

١ - يُصِبْ منه: ضبطه بعض الحفاظ بكسر الصاد وبعضهم بفتحها. قال الحافظ -رحمه الله- في الفتح: ١١٣/١٠: كذا للأكثر بكسر الصاد والفاعل الله. قال أبو عبيد الهروي: معناه يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها، وقال غيره: معناه: يُوجِّه إليه البلاء فيصيبه
وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: أكثر المحدثين يرويه بكسر الصاد، وسمعت ابن الخشاب يقول: بفتح الصاد وهو أحسن وأليق كذا قال، ولو عكس لكان أولى. والله أعلم. اهـ.

ومنها: أنه إذا فوّض أمره إلى ربه، ورضي بما يختاره له، أمدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حُسن عواقب اختياره ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور:١١)

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه، ومتى صحَّ تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدور العطف عليه، واللطف به فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدَّره.

أخرج الإمام مسلم من حديث صهيب بن سنان ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمرَه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ".**

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء:٣٥).

وأخرج الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أصابه خير حمد وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد وصبر، فالمؤمن يؤجر في كل أمره ".**

فهذه حال النفس المطمئنة، تعلم أن الله تعالى الذي قدر لها الخير أو الضر حكيم عليم، فلا تبطر بنعمة ولا تجزع من مصيبة، فهي شاكرة في السراء صابرة في الضراء، أمرها كله خير.

المرض نعمة ومنحة:

فمن خلال ما تقدم ذكره يتضح لك جليًا أخي المريض أن ما أنت فيه من مرض وما تعانيه من آلام وما تلقاه من متاعب؛ نعمة ومنحة من الله سبحانه؛ وهِبَة ربّانية من الرب الرحيم سبحانه لعبده الفقير المحتاج، فمن رحمته به أن عَرّضه للبلاء لتتحقق له المحبة والخيرية وتحصل له تلك المكاسب من تكفير لسيئات ورفع لدرجات، والتي لا تحصل له بدون ذلك، وإلا فإن الله غنيّ عن تعذيبه، ولا حاجة به سبحانه إلى ما يؤذي عبده، لكن حكمة الله البالغة ورحمته بعبده اقتضت ذلك، فله الحمد على ذلك كثيرًا كثيرًا.

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء

فقد ذكر النبي ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: **"وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء ".** (أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة: ١٤٤)

قال وهب بن منّبه –رحمه الله– كما في" سير أعلام النبلاء :٤/٣٢٧" :

إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدّه رخاء، وإذا أصابه رخاء عدّه بلاء.

وقال الشاعر:

كم نعمة لا تستقلّ بشكرها لله في طيّ المكاره كامنة

(جنة الرضا: ٥٢/٣)

وقال بعض الحكماء: " رب محسود على رخاء هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه ". (العقد الفريد: ١٤٥/٣)

وقال بعض السلف: " يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب ".

(مدارج السالكين: ٢١٦/٢)

وقال بعضهم: " ارض عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه".

(مدارج السالكين: ٢١٦/٢)

وقال سفيان الثوري –رحمه الله–: " ليس بفقيه من لم يعدّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة". (حلية الأولياء:٥٥/٧)

وقال أبو الصلت:

تجري الأمور على حكم القضاء وفي طيّ الحوادث محبوب ومكروه

وربمّا سرّني ما كنت أحذره وربما ساءني ما بتّ أرجوه

(جنة الرضا:٥٢/٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " لا منافاة بين كون الشيء مصيبة باعتبار ونعمة باعتبار، فباعتبار ما يحصل به من الأذى هو مصيبة، وباعتبار ما حصل به من الرّحمة نعمة، وهذا بمنزلة شرب المريض الدواءَ الكريه فهو مصيبة باعتبار مرارته، وهو نعمة باعتبار إزالته للمرض الذي هو أشدّ ضررًا منه، وأدنى الشرّين إذا زال كان أعظمها نعمة ". (تسلية أهل المصائب ص ٢٢٧)

وقال ابن القيم –رحمه الله–: لو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبَه بشكره ولسانَه ". (طريق الهجرتين صـ ٤٩٦)

وقال أيضًا: " الآلام والأمراض والمشاقّ من أعظم النعم، إذ هي أسباب النعم..... فأعظم اللذّات ثمرات الآلام ونتائجها ". (شفاء العليل صـ ٥٢٥)

وقال سفيان الثوري–رحمه الله–: " منعه عطاء، وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختيارًا وحسن نظر".

قال ابن القيم –رحمه الله – كما في مدارج السالكين:٢/٢١٥" عقب إيراده لكلام سفيان: " وهذا كما قال، فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أو سرّه، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بليّة، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعدّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذّ به في العاجل وكان ملائمًا لطبعه. ولو رُزِق من المعرفة حظًا وافرًا لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذّذ بالبلاء أكثر من لذّته بالعافية، وتلذّذ بالفقر أكثر من لذّته بالغنى، وكان في حال القلّة أعظم شكرًا من حال الكثرة، وهذه كانت حال السلف، فالعاقل الراضي من يعدّ البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غني، فالراضي هو الذي يعدّ نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه ". اهـ.

ولعل سائلًا أن يسأل فيقول ؟:أنتم تقولون أن هذا المرض خير ساقه الله لنا وهو علامة على محبة الله، فأين هذا الخير وأين هذا الحب ونحن نتألم ونتوجع ولا نهنأ بطعام ولا تكتحل أعيننا بمنام؟

أيها المريض ... اعلم أن هذا المرض فيه خيرٌ وفوائد عظيمة منها: -

أولًا: تكفير للسيئات:

والمراد بتكفير الذنب: ستره أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة.

١ – *أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:* " **ما يصيب المؤمن من نصب[١]، ولا وصب[٢]، ولاهَمٍّ[٣] ولا حُزْنٍ[٤]، ولا أَذًى ولا غَمٍّ[٥] حتى الشوكَةَ يُشاكُّها إلا كفَّر اللهُ من خطاياه** ".

وفي صحيح مسلم بلفظ: " **ما يصيب المؤمنَ من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا سَقَمٍ، ولا حُزْنٍ حتى الهمِّ يهَمُّهُ إلا كفر به من سيئاته** ".

٢ – *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– عن النبي ﷺ قال:* " **ما من مصيبةٍ تُصيبَ المسلمَ إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكةَ يُشَاكُها** ".

وفي رواية لمسلم: " **لا تصيبُ المؤمنَ شوكةٌ فما فوقها إلا نقصَ الله بها من خطيئته** ".

١ ـ نصب: تعب. (النهاية:٥/٦٢)
٢ـ وَصَب: وجع أو مرض، وقيل: هو الوجع اللازم، ومنه قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} (الصافات:٩) أي: لازم ثابت (ترتيب القاموس:٤/٦١٨)
٣ ـ الهم: يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب
٤ـ الحزن: على مكروه ماض من فوت محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزنًا.
٥ ـ الغم: يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم. (شفاء العليل ص ٥٧٣)

٣ – *وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:* " ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواهُ إلا حط اللهُ به سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرة وَرَقَها ".

وأخرج الإمام أحمد والبزار عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: " لا يمرضُ مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ، ولا مسلمٌ ولا مسلمةٌ إلا حطَّ الله به خطيئتهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٥)

وأخرجه ابن حبان بلفظ: " إلا حطَّ الله بذلك خطاياهُ كما تنحطُ الورقَةُ عن الشجرة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٦)

– *وفي رواية:* " الْمَرِيضُ تَحَاتُّ خَطَايَاهُ، كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ ". (رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد عن أسَدِ بن كُرْزٍ رضي الله عنه)

٤ – *وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:* " ما من شيء يُصيبُ المؤمنَ في جسده يؤذيهِ، إلا كفر الله عنه من سيئاتهِ ". (صحيح الجامع: ٥٧٢٤)

٥ – *وأخرج البخاري في الأدب المفرد وأصله عند النسائي من حديث عبد الله بن الجراح رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:* " من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة ".

٦ – *وأخرج أبو داود بسند جيد عن أم العلاء –رضي الله عنها– قالت:* " عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: " يا أم العلاء[1]! أبشري، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تُذهب النارُ خبث الذهب والفضة ". (صحيح الجامع: ٧٨٥١) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٧)

وعند الطبري بلفظ: " أبشري يا أمَّ العلاء فإن مرضَ المسلم يُذهبُ خطاياه كما تذهبُ النارُ خبثَ الحديد".

٧–*وعند البخاري في" الأدب المفرد" والطبراني في" الأوسط" وابن حبان وابن أبي الدنيا في" كتاب المرض والكفارات" عن عائشة–رضي الله عنها–عن النبي ﷺ قال:* " إذا اشتكى المؤمنُ أخْلَصَهُ[الله] من الذنوب كما يُخلصُ الكيرُ خبثَ الحديد ". (صحيح الجامع:٣٤٤)

٨– *وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " إذا ابتلى اللهُ العبدَ المسلم ببلاءٍ في جسده، قال اللهُ ﷻ [للمَلَكِ]: اكتبْ له صالح عمله، فإن شفاه غَسَلَهُ وطهره، وإن قبضَهُ غفر له ورحمه ". (صحيح الجامع:٢٥٨)

٩– *وأخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: يا ملائكتي أنا قيدتُ عبدي بقيد من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإن أعافيه فحينئذٍ يقعدُ ولا ذنب له ". (رواه كذلك البغوي والطبراني في الكبرى)

١ـ أم العلاء ـ رضي الله عنها ـ: هي عَمَّةُ حَكِيم بن حِزَامٍ وكانت من المُبايعات.

١٠- ***وأخرج الإمام أحمد الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ:*** **" ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله- تعالى- وما عليه خطيئة ".** (صحيح الجامع:٥٨١٥)

وعند البخاري في الأدب المفرد بلفظ: **" لا يزالُ البلاءُ بالمؤمن أو المؤمنة في جسدِهِ، ومالِهِ، وولدِهِ، حتى يلقى اللهَ ﷻ وما عليه من خطيئةٍ ".**

١١- ***وعند الترمذي أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة ".**

يقول ابن مِجْلزٍ-رحمه الله-: " إن الله يبتلي العبد بالبلاء حتى ما يبقى عليه ذنب ".

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة ".**

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر".**

وفي رواية: **" ما من مسلم يصيبه أذى- شوكة فما فوقها- إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها ".**

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أُمامةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" ما من عبدٍ يَصرعُ صرعةً من مرضٍ إلا بعثه الله منها طاهرًا ".** (صحيح الجامع: ٥٧٤٣)

قال المناوي -رحمه الله- في" فيض القدير: ٤٨٧/٥، ٤٨٨": ما من عبد يُصرع من مرض إلا بعثه الله منها طاهرًا؛ لأن المرض تمحيص للذنوب، والمؤمن ملوثٌ بالشهوات، متوسخ بالخطيئات، فإذا أسقمه الله طهّره وصفّاه، كالفضة تلقي في كيرها فينفخه يزول خبثها ويصفو دنسها فتصلح للضرب، وظاهر الحديث الشمول لجميع الذنوب لكن خصه الجمهور بالصغائر.

وقال ابن حجر-رحمه الله-: ويحتمل أن معنى الأحاديث المؤذنة بالتعميم أن ذلك صالح لتكفير الذنوب فيكفر به ما شاء من الذنوب، فما يكون كثرة التكفير وقلته باعتبار شدة المرض وخفته، ثم المراد بتكفير الذنوب شدة أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة.

قال ابن عبد البر-رحمه الله- كما في التمهيد: ٢٦/٢٣ ": الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض والأسقام وهذا أمر مجمع عليه. اهـ.

فأبشر أيها المريض واحتسب كل لحظة تمر عليك وأنت مريض، فهذا تطهير من الذنوب

وأخرج الترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي الدنيا في كتاب المريض والكفارات بسند حسن عن أمِّ سلمة . رضي الله عنها . قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" ما ابتلى الله عبدًا ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يَكْرَهُهَا إلا جعل الله ذلك البلاء كفارةً وطُهُورًا مَا لَمْ يُنْزِلْ ما أصَابَهُ من البلاء بغير اللهِ أو يَدْعُو غَيْرِ اللهِ في كَشْفِهِ ".** (الصحيحة: ٢٥٠٠)

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن أبي بُرْدَةَ ﷺ قال: **" كنتُ عند معاويةَ، وطبيبٌ يُعَالِجُ قَرْحَةً في ظَهْرِه وهو يَتَضرر، فقلتُ له: لو بعضُ شُبَّاننا فَعَلَ هذا لَعِبْنا ذَلِكَ عليه فقال: ما يَسُرُّني أنَّي لا أجدُهُ، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى في جَسَدِهِ إلا كانَ كفارةً لخطَايَاه ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤١٦)

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرةﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" وَصَبُ المُومن كفارةٌ لخَطَايَاهُ ".** (صحيح الجامع: ٧١٠٩)

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إن الله ليبتلي عبدهُ بالسَّقَم، حتى يكفّرَ ذلك عنه كُلَّ ذَنْب ".** (صحيح الجامع: ١٨٧٠) (الصحيحة:٣٣٩٣)

جاء في كتاب الزهد لهناد ص ٤١٣ عن قيس بن عبادة –رحمه الله– أنه قال: **ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا.**

وجاء في كتاب" المرض والكفارات لابن أبي الدنيا ص ٦١ رقم ٥٦" عن حبيب الهراني قال: " عادني الحسن في مرضي، فقال لي: يا حبيب إنا إن لم نؤجر إلا فيما نحب قَلَّ أجرُنا، وإن الله كريم يبتلي العبد وهو كاره. ويعطيه عليه الأجر العظيم ".

– *وفي المصدر السابق أيضًا بسند صحيح عن هلال بن يساف قال:* كنا قعودًا عند عمار بن ياسرﷺ فذكروا الأوجاع، فقال أعرابي: ما اشتكيت قط. فقال عمارﷺ: ما أنت منا–أو لست منا–إن المسلم يبتلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يحط الورق من الشجر، وإن الكافر–أو قال: الفاجر–يبتلى ببلية فمثله مثل البعير، إن أطلق لم يدر لم أطلق، وإن عقل لم يدر لم عقل.

– *ويقول أبو بكر الصديق ﷺ:* **" يكفر الله عن المسلم حتى النكبة وانقطاع شسعه، والبضاعة يضعها في كم قميصه فيفقدها فيجدها في ضبنه[1] ".**

فسبحان الملك!! كل شيء من الأوجاع والهموم والأحزان يؤجر عليها المسلم، حتى مجرد الفزع على فقدان المتاع حتى يجده.

---

١ ـ ضبنه: أي تحت إبطه

تنبيه: هذا الفضل من تكفير السيئات مشروط بالرضا والتسليم وعدم التسخط.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى من حديث شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ :إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِي، فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ مِنْ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل :أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ ". (صحيح الجامع: ٤٣٠٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢٣)

وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال اللهُ تَعالى : " إذا ابتليتُ عبديَ المؤمنَ، ولمْ يشكُني إلى عُوادِهِ أطلقتُهُ مِنْ أساري، ثمَّ أبدلتُهُ لحمًا خيرًا مِنْ لحمِهِ، ودمًا خيرًا مِنْ دمِهِ، ثمَّ يستأنفُ العملَ ". (صحيح الجامع: ٤٣٠١) (الصحيحة:٢٧٢)

ثانيًا: ومن فوائد المرض: شهود الجزاء:

- فقد أخرج ابن أبي الدنيا والترمذي من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ ". (صحيح الجامع: ٨١٧٧) (الصَّحِيحَة: ٢٢٠٦).

- وفي رواية: " ليَوَدَّنَّ أهلُ العافية يومَ القيامةَ، أن جُلُودَهُم قرضت بالمقاريض، مما يرون من ثواب أهل البلاء ". (صحيح الجامع: ٥٤٨٤)

ويروى أن بعض العابدات[1] عثرت فانقطع أصبعها فضحكت فقيل لها: أتضحكين وقد انقطع أصبعك!!؟ قالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أَنْستني مرارة قطعها.

فكان فرحهم بالبلاء أعظم من فرحهم بالعطاء.

ثواب صداع الرأس

- أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله به عنه خطيئته، وكتب له حسنة، ورفع له درجة ".

(قال ابن حجر في الفتح:٣/١٠٥: سنده جيد)

-وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات بسند صحيح عن أبي سعيد الخُدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " صُدَاعُ المؤمنِ أو شوكَةٌ يُشَاكُهَا، أو شيءٌ يُؤْذِيه، يرفعه الله به يوم القيامة درجة، ويكفرُ عنه بها ذنوبه ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٣٤) (قال الدمياطي في المتجر الرابح ص ٦٢٥ إسناده جيد)

١- قيل هي امرأة فتح الموصلي.

ثواب من ذهب بصره فصبر واحتسب

أ- من فقد بصره ثم صبر واحتسب، فلا حساب عليه.

فقد أخرج البزار من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله ﷻ ولا حساب عليه ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٥١)

ب- من فقد بصره ثم صبر واحتسب، أدخله الله الجنة:

فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بِحَبِيبَتَيْهِ[1] فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ- يريد عينيه- ".**

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح: ١٠/١٢٠ ": قوله: **" إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه"**، المراد بالحبيبتين: المحبوبتين. لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما حصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيُسرُّ به أو شر فيجتنبه.

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الله ﷻ: **" من أذهبتُ حبيبتيه، فصبَر واحتسب، لم أَرْضَ له ثوابًا دون الجنة ".** (صحيح الجامع: ٨١٤٠)

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن الله يقول: إذا أخذت كريمَتَي عبدي في الدنيا، لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة ".**

وأخرج الإمام مسلم عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" يقول الله سبحانه: يا ابن آدم! إذا أخذت كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرْضَ لك ثوابًا دون الجنة ".** (صحيح الجامع: ٨١٤٣)

وأخرج ابن حبان بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا يذهبُ الله بِحَبِيبتي عبدٍ فيصبر ويحتسب، إلا أدخلَهُ الله الجنة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٥٠)

وأخرج ابن حبان أيضًا عن العرباضِ بن ساريةً ﷺ عن النبي ﷺ قال:" قال الله ﷻ : **" إذا سلبتُ من عَبْدي كريمَتَيْه وهو بهما ضنينٌ لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنةِ، إذا هو حَمِدَنِي عليهما ".**

(صحيح الجامع:٤٣٠٥) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٨)

وأخرج ابن حبان كذلك وأبو يعلى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: **" إذا أخذتُ كَرِيمَتَي عبدي في الدنيا [فَصَبَرَ واحتسب]، لم يكن له جزاء عندي إلا الجنةَ ".**

(صحيح الجامع:١٩٠٤)

يا له من جزاء عظيم وأجر كبير ولا يكون إلا لمن صبر على هذا البلاء الكبير والمصيبة العظيمة، فيا من فقدت نعمة البصر احتسب الأجر عند الله، واحمد الله أنه أخذ منك نعمة البصر، وأعطاك بدلًا منها جنة عرضها السماوات والأرض، واحمده كذلك على أنه لم يأخذ منك نعمة البصيرة.

١- يريد بحبيبتيه: عينيه.

ثواب الحُمّى

١ – *أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ:*أن رسول الله ﷺ دخل على أمِّ السائب أو أم المُسيِّبِ، فقال: " مَالَك تُزَفْزِفِينَ[١]؟ قالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال: لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنها تذهبُ خطايا بني آدم كما يُذْهبُ الكيرُ[٢] خبثَ الحديد ".

وَعَند ابن ماجه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ذُكِرَتِ الْحُمَّى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَبَّهَا رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا تَسُبَّهَا، فَإِنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ".

ولذلك كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض ولا سيما إذا كان محمومًا فإنه يقول له:" لا بأس طهور إن شاء الله ".

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–:" أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يعوده قال: "لا بأس طهور إن شاء الله". قال: قلت طهور!؟ كلا. بل هي حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تُزِيرُه القبور فقال النبي ﷺ: نعم إذًا ".

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن جابر ﷺ قال:" استأذنتِ الحمى على رسول الله ﷺ فقال:" من هذه؟ قالت: أمُّ مِلْدَم. فأمر بها إلى أهل قُباء فَلَقوا منها ما يَعْلَمُ الله، فأتوهُ فَشَكَوا ذلك إليه، فقال:" ما شئتم، إن شئتم أن أدعو الله لكم فيكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهورًا. قالوا: يا رسول الله! أَوَ تَفْعَلُ؟ قال: نعم. قالوا: فَدَعْهَا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٢)

وعند الطبراني من حديث سلمان ﷺ بلفظ:" فَشَكَوُا الحُمَّى إلى رسول الله ﷺ فقال:" ما شئتم، إن شئتم دعوتُ الله فدفعها عنكم، وإن شئتم تركتموها وأسقطت عنكم بقية ذنوبكم؟، قالوا: فدعها يا رسول الله ".
(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٣)

وأخرج البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" إن الحمى جاءت إلى رسول الله تشبه امرأة سوداء فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا أمُّ مِلْدَم، قال: وما تصنعين يا أم مِلْدَم؟ قالت: آكل اللحم، وأنشف الدم، وحرّى من فيح جهنم، فعرف أنها الحمى، فقالت: يا رسول الله ابعثني إلى أحب أهلك إليك. قال: فبعثها إلى الأنصار فأخذتهم سبعة أيام، فبعثوا جريحهم إلى رسول الله ﷺ: فدعا رسول الله ﷺ فرفعها الله عنهم، فكان رسول ﷺ إذا رآهم قال: مرحبًا بقوم طهرهم الله تطهيرًا ".

١ ـ تُزَفْزِفِينَ: الحركة بسرعة، والمراد ما يحصل للمحموم من الرعدة (يعني ترتعدين)
٢ ـ الكِير: جلد غليظ ينفخ به النار. (لسان العرب: ٥/١٥٧)

وأخرج الطبراني عن فاطمة الخزاعية-رضي الله عنها- قالت: **" عَادَ النبي ﷺ امرأةً من الأنصار وهي وَجِعَةٌ، فقال لها: كيف تَجِدينَك؟ قالت: بخير؛ إلا أن أُمَّ مِلْدَمٍ قد برحت بي فقال النبي ﷺ: اصبري فإنها تُذْهِبُ خبث ابن آدَمَ كما يُذهبُ الكيرُ خبثَ الحديد ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٠)

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: **" دخلتُ على النبي ﷺ فَمَسَسْتُهُ فقلتُ: يا رسول الله إنك توعكُ [1] وعكًا شديدًا فقال: أجل إني أوعَكُ كما يُوعَكُ رجلانِ منكم، قلت: ذلك بأن لكم أجرين؟ قال: نعم ما من مسلم يُصيبُه أذى من مرضٍ فما سواهُ إلا حط الله به سيئاتهِ كما تحط الشجرة ورقها ".**

وأخرج الحاكم بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكرٍ-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **" إنما مَثَلُ العبدِ المؤمن حين يُصيبهُ الوعَكُ أو الحُمَّى، كَحَديدةٍ تدخُلُ النارَ، فيذهبُ خَبَثُها، ويبقى طيبُها ".** (صحيح الجامع:٢٣٧٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٣٩)

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن شَهْرِ بن حَوْشَب عن أبي ريحانَة قال: قال رسول الله ﷺ: **" الحُمَّى كِيرٌ من جهنّمَ، وهي نصيبُ المؤمن من النارُ ".** (صحيح الجامع:٣١٩٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٥)

وعند البزَّار من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: **" الحُمَّى حظُّ كُلِّ مُؤْمنٍ من النار".**
(صحيح الجامع:٣١٨٧) (الصحيحة :١٨٢١)

وعند الإمام أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" الْحُمَّى كِيرٌ من جَهَنّمَ، فما أصَابَ المُؤمن منها كان حَظهُ من النار ".** (صحيح الجامع:٣١٨٨) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٦)

فلهذا ولغيره كان أبو هريرة ﷺ يتمنى أن لو أصابه مرض تكون الحُمَّى

فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ﷺ قال: **" ما من مرض يصيبني أحبُّ إليّ من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر".**

(وهذا الخبر صححه ابن حجر في" الفتح :١٠/ ١١٠"؛ ثم قال: ومثل هذا لا يقوله أبو هريرة ﷺ برأيه).

وفي رواية عند ابن أبي شيبة: **" ما من وجع يصيبني أحب إليّ من الحمى لأنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم، وإن الله ليعطي كل مفصل قسطًا من الأجر".**

فيا له من تطهير

فكيف لا يتمنى ذلك وهو الذي سمع بأذنه النبي ﷺ عندما كان معه يعود مريضًا من وعك كان به **فقال له النبي ﷺ:** **" أبشر إن الله- تعالى- يقول: هي ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار يوم القيامة ".** (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣٢ والصحيحة: ٥٥٧)

---

١ ـ الوعك: الحمى.

وجاء عند ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن البصري قال: **" كانوا يرجون في حُمَّى ليلةٍ كفارة لما مضى من الذنوب ".**

وفي رواية مرفوعًا: **"إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياهُ كلها بحُمَّى ليلةٍ ".**

(رواه ابن أبي الدنيا من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ).

والحديث ضعّفه العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء، لكن معناه صحيح لحديث أم السائب، وقال ابن المبارك: هذا من جيد الحديث. والله أعلم

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ **أن رجلًا من المسلمين قال: يا رسول الله! أرأيتَ هذه الأمراض التي تُصيبُنا ما لنا بها؟ قال النبي** ﷺ**: كفاراتٌ، قال: أُبيُّ بنُ كعب: يا رسول الله! وإن قَلَّتْ؟ قال: وإنْ شوكةً فما فوقها، فدعا أُبيُّ على نفسِهِ ألا يُفَارِقَهُ الوعَكُ حتى يموتَ، وألا يشغَلَهُ من حج، ولا عُمْرَةٍ، ولا جهادٍ في سبيل الله، وصلاةٍ مكتوبةٍ في جماعةٍ، فما مس إنسانٌ جَسَدَهُ إلا وَجَدَ حَرَّها حتى مات ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٣٣)

وعند الطبراني في الكبير والأوسط عن محمد بن معاذ بن أُبَيِّ بن كَعْبٍ عن أبيه عن جده ﷺ ***أنه قال:*** **يا رسول الله! ما جَزَاءُ الحُمَّى؟ قال:" تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج[1]عليه قَدَمٌ أو ضرب عليه عرقٌ "، قال أُبيّ: اللهم إني أسألك حُمَّى لا تمنعني خروجًا في سبيلك، ولا خروجًا إلى بيتك، ولا مسجد نبيك، قال: فلم يُمَسَّ أبيٌّ قطُّ إلا وبه حُمَّى ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٤٤)

تنبيه

ودعاء أبيّ ﷺ على نفسه اجتهاد منه، والمأمور به شرعًا أن لا يتعرّض المؤمن للبلاء، وأن يسأل الله العافية، فإن المرء لا يدري فلعلّه لا يقوم بواجب الصبر عند البلاء، وقد ورد الأمر بسؤال الله العافية في عدّة أحاديث منها :-

ما أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن أبي بكر ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***أنه قال:*** **"سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقينِ خيرًا من العافية ".** (صحيح الجامع: ٣٦٣٢)

وكان ﷺ لا يَدَعُ سؤال ربّه العفو والعافية كل صباحٍ ومساء. كما جاء في حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- عند أبي داود وابن ماجه. وهذا يبين أنه لا ينبغي للمؤمن أن يتمنّى البلاء أو يسأله، فإذا ابتُلى صبر.

ولهذا قال مطرف بن عبد الله . رحمه الله .: " لأن أعافي فأشكر أحبّ إليّ من أبتلى فأصبر".

(الزهد لهناد ص ٢٥٤، الشكر لابن أبي الدنيا ص٧٧)

١ ـ اختلج: أي تحرّك واضطرب

ثواب الصرع والصبر عليه

أخرج البخاري ومسلم عن عطاء بن رياح قال: قال لي ابن عباس -رضي الله عنهما-: **" ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: هذه المرأة السوداء. أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرعُ[1] وإني أتكشَّف فادع الله تعالى لي. فقال النبي ﷺ: إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله تعالى أن يعافيك ". فقالت: أصبر، ثم قالت: إني أتكشَّف فادع الله تعالى لي ألا أتكشف، فدعا لها ".**

فهذه المرأة صابرة عاقلة، لما بزغ لها فجر الجزاء الباقي هان عليها ظلام البلاء الفاني، فلا عيش إلا في جنات عدن ولا مستراح إلا في ظل طوبى، فصبرًا على اللأواء والموعد الجنة.

- وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما مِنْ عبدٍ يُصْرَعُ صرْعَةً مِنْ مَرَضٍ، إلَّا بعَثَهُ اللهُ منْها طاهِرًا ".** (صحيح الجامع:٥٧٤٣) (الصحيحة:٢٢٧٧)

قال الحافظ -رحمه الله- في" الفتح :١٠/ ١١٩": وانحباس الريح قد يكون سببًا للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعًا غير تام وسببه: ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبًا بل يسقط، وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذية به. ***وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبي هريرة شبيهًا بقصتها ولفظه:*** **" جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله. فقال: إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك؟ قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ ".** وفي الحديث فضل من يُصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو قوة توجهه، وقوة قلبه بالتقوى والتوكل. والله أعلم. اهـ.

١- أُصْرع: والصرع هو الطرح بالأرض، والصرع علة معروفة.

ثواب من مات بالطاعون

١- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أنها قالت:" سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون[١]، فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذابًا يبعثه على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد[٢]".

٢- أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الطاعونَ شهادةٌ لكل مسلم "

٣- أخرج البخاري عن عائشة . رضي الله عنها . قالت:" سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فقال: كان عذابًا يبعثهُ الله على من كان قبلكم، فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبدٍ يكونُ في بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابرًا محتسبًا يعلمُ أنه لا يصيبُهُ إلا ما كُتبَ له إلا كان له أجر الشهيد ".

٤- أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" فناءُ أمتي بالطعن والطاعون، فقيل لرسول الله ﷺ: هذا الطعنُ قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخْزُ[٣] أعدائكم من الجن، وفي كلٍّ شهادة ". (صحيح الجامع:٤٢٣١)

٥- وأخرج الحاكم عن أبي بكر بن أبي موسى قال:" ذُكِرَ الطاعونُ عند أبي موسى ﷺ فقال: سألنا عنه رسول الله ﷺ فقال: وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادةٌ ". (صحيح الجامع:٣٩٥١)

٦- وأخرج النسائي الإمام أحمد عن العرباض بن ساريةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يختصمُ الشهداءُ والمتوفون على فُرُشهم إلى رَبِنَا في الذين يُتَوَفَّون في الطاعون، فتقول الشهداء إخواننا، قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فُرُشهم: إخوانُنَا ماتوا على فُرُشهم كما متنا، فيقضي الله بينهم، فيقول ربُّنا: انظروا إلى جِرَاحِهِم فإن أشبهت جِراحهُمُ جراح المقتولينَ، فإنهم منهم ومعهم، فينظرون إلى جراح المطعونين، فإذا جِرَاحُهُم قد أشبهتْ جرَاح الشهداء، فيلحقون بهم ". (صحيح الجامع:٨٠٤٦)

وعند أحمد والطبراني بلفظ:" يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقولُ أصحاب الطاعون: نحن شهداءُ، فيقال: انظروا فإن كانت جراحاتهم كجراح الشهداء تسيل دمًا كريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك ".

١- الطاعون: الوباء، وقال صاحب النهاية: الطاعون المرض العام الذي يفسد له الهواء.
- وقال أبو بكر بن العربي: الطاعون: الوجع الغالب الذي يطفئ الروح كالذبيحة.
- وقال النووي: هو بثر وورم مؤلم جدًا يخرج مع لهب، ويسود ما حوليه أو يخضر أو يحمر حمرة شديدة بنفسجية.
وقال ابن سينا: الطاعون مادة سمية تحدث قتالًا يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة قال: وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد، ويستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة.

٢- له مثل أجر الشهيد: قال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٠٤/) لعل السر في التعبير بالمثلية مع ثبوت التصريح بأن من مات بالطاعون كان شهيدًا، أن من لم يمت من هؤلاء بالطاعون كان له مثل أجر الشهيد، وإن لم تحصل له درجة الشهادة بعينها، وذلك أن من اتصف بكونه شهيدًا أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطى مثل أجر الشهيد، ويكون كمن خرج على نية الجهاد في سبيل الله.
وقال الحافظ أيضًا في بذل الماعون في فضل الطاعون ص ١٩٩: فيمقتضى هذا الحديث بمنطوقه ومفهومه أن أجر الشهيد إنما يكتب لمن لم يخرج من البلد الذي يقع به الطاعون، وأن يكون في حال إقامته قاصدًا بذلك ثواب الله راجيًا صدق موعوده، وأن يكون عارفًا أنه إن وقع له فهو بتقدير الله وإن صرف عنه فهو بتقدير الله، وأن يكون غير متضجر به أن لو وقع به، فإذا وقع به فأولى ألا يتضجر وأن يعتمد على ربه في حالتي صحته وعافيته، فمن اتصف بهذه الصفات مثلًا فمات بغير الطاعون فإن ظاهر الحديث أنه يحصل له أجر الشهيد. ويستفاد من مفهوم حديث عائشة السابق أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدًا ولو مات بالطاعون، فضلًا عن أن يموت بغيره والله المستعان. أهـ باختصار

٣- الوَخْزُ: هو الطعن

ثــواب المبطــون

- *أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي إسحاق السبيعي قال:* " قال سليمانُ بنُ صُرَدٍ لخالد بن عُرْفُطَةَ أو خالد لسليمان: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قَتَلَهُ بطنُهُ لم يُعَذبْ في قَبْرِه، فقال أحدهما لصاحبه: نعم ".

- *وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :* " ما تعُدُّونَ الشهداء فيكم؟" قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال:" إن شهداء أمتي إذا لقليل"، قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال:" من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد". قال ابنُ مِقْسَمٍ:" أشهد على أبيك يعني أبا صالح أنه قال: والغريق شهيد ".

- *وفي رواية:* " الشهداءُ خمسةٌ: المطعون، والمبطون، والغريقُ، وصاحبُ الهدم ".

- *وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:* " المبطون[1] شهيد، والمطعون شهيد ".

ثواب صاحب ذاتِ الجنبِ والنفساءِ تموتُ وولدها في بطنها

- *أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن جابر بن عَتيك:* "أن رسول الله ﷺ جاء يعودُ عبد الله بن ثابتٍ فوجده قد غُلبَ عليه، فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله ﷺ، وقال غُلِبْنا عليك يا أبا الربيع، فصاحت النسوة وبكين، وجعل ابن عَتيك يُسكتُهُنَّ، فقال له النبي ﷺ دعهنَّ فإذا وجبت فلا تبكين باكيةٌ، قالوا: وما الوجوبُ يا رسول الله ؟ قال: إذا مات، قالت ابنته: والله إني لأرجو أن تكونَ شهيدًا فإنك كنت قد قضيت جهازك، فقال النبي ﷺ:" إن الله قد أوقَعَ أجرَهُ على قدر نيته وما تعدونَ الشهادةَ ؟ قالوا: القتل في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: الشهادةُ سبعٌ سوى القتل في سبيل الله: المبطونُ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، وصاحب ذاتِ الجنبِ[2] شهيدٌ، والذي يموت تحتَ الهدم شهيدٌ، والمرأةُ تموت بجمع[3] شهيدٌ ".

- *وأخرج النسائي بسند صحيح عن عقبةَ بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " خمسٌ من مضى في شيء منهنَّ فهو شهيد: المقتولُ في سبيل الله شهيد، والغريقُ في سبيل الله شهيدٌ، والمبطونُ في سبيل الله شهيدٌ. والمطعون في سبيل الله شهيدٌ، والنفساءُ في سبيل الله شهيدٌ".

١- المبطون: عليل البطن. ومن ذلك والله أعلم أمراض العصر الحديث مثل: الاستسقاء، والطحال، والكبد، والمرارة، والكلى، وغيرها من أمراض البطن.
٢- ذات الجنب: هي الالتهاب الرئوي.
٣- بجمْع: بضم الجيم وفتحها وكسرها، وبإسكان الميم، ومعناه: أنها ماتت وولدُها في بطنها.

- *وأخرج الإمام أحمد والطبراني بإسنادٍ جيد عن عبادة بن الصامت ﷺ قال:* " دخلنا على عبد الله بن رواحةَ نعودُهُ، فأُغمي عليه، فقلنا: رحمك الله إن كنا لنحب أن تموتَ على غير هذا، وإن كنا لنرجو لك الشهادةَ، فدخل النبي ﷺ ونحن نذكرُ هذا فقال: وفيم تَعُدَّونَ الشهادةَ؟ فَأَرَمَّ القومُ[1] وتحرك عبدُ الله فقال: ألا تجيبونَ رسول الله ﷺ؟ ثُمَّ أجابَهُ هو فقال: نعُدُّ الشهادَةَ في القتيل. فقال ﷺ: إن شهداء أمتي إذًا لقليلٌ، إن في القتل شهادةً، وفي الطاعون شهادةً، وفي البطن شهادةً، وفي الغرق شهادةً، وفي النفساء يقتُلها ولدُها جَمْعًا شهادةً".

- *وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ربيع الأنصاري ﷺ:* " أن رسول الله ﷺ عَادَ ابن أخي جَبْرٍ الأنصاري فجعل أَهْلُهُ يبكونَ عليه، فقال له جَبْرٌ: لا توذُوا رسولَ الله بأصواتكم، فقال له رسول الله ﷺ: دَعْهُن يبكين ما دام حيًا، فإذا وجب فليسكتن، فقال بعضُهُم: ما كنا نرى أن يكونَ موتكَ على فراشك حتى تقتل في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أَوَمَا القتلُ إلا في سبيل الله؟ إن شهداءَ أمتي إذا لقليلٌ، إن الطعن شهادةٌ، والبطنَ شهادةٌ، والطاعونَ شهادةٌ، والنفساءَ بجُمْع شهادةٌ، والحرقَ شهادةٌ، والغرقَ شهادةٌ، وذات الجنبِ شهادةٌ ".

ثالثًا: ومن فوائد المرض: رفع الدرجـــات:

- *أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده ﷺ وكانت له صحبةٌ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إن العبد إذا سبقتْ له من الله منزلةٌ فلم يَبْلُغْها بعمله، ابتلاهُ الله في جسده، أو ماله، أو في ولدِهِ، ثم صَبَرَ على ذلك، حتى يُبْلِّغَهُ المنزلَةَ التي سبقتْ لهُ من الله تعالى ".

(صحيح أبي داود:٢٦٤٩)

- *وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله، فما يَبْلُغها بعملٍ، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها ". (صحيح الجامع:١٦٢٥) (الصحيحة:٢٥٩٩)

- *وفي رواية:* " إن العبد ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة ما ينالها بعمل فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها ". *الحديث*

- *وفي رواية:* " إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك ".

١ ـ أَرَمَّ القوْمُ: أي سكتوا، وهو بفتح الراء وتشديد الميم.

ومما يدل على هذا الأصل- لو أن أحدًا جنى على آخر فأصابه في جسده فعفا المجني عليه عن الجاني رفعه الله درجة وحط عنه خطيئة-.

كما جاء في رواية الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ قال: **" ما من رجلٍ يُصابُ بشيء في جسدِهِ فيتصدق به، إلا رفعهُ اللهُ به درجةً، وحط عنه به خطيئة ".** (صححه شعيب الأرناؤوط)

- ***وأخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:*** **" لا تُصيب المؤمنَ شوكةٌ فما فوقها إلا نَقَص الله بها من خطيئته ".**

- ***وفي رواية:*** **" إلا رفعه الله بها درجةً وحط عنه بها خطيئتهُ ".** (رواه مسلم)

- ***وفي رواية:*** **" ما يصيب المؤمنَ من شوكةٍ فما فوقها إلا رفعهُ بها درجةً أو حطَّ عنه بها خطيئة ".**

(رواه مسلم)

- ***وفي رواية:*** **" دخل شبابٌ من قريش على عائشة . رضي الله عنها . وهي بمنىً وهم يضحكون فقالت: ما يُضحِكُكم؟ قالوا: فلانٌ خَرَّ على طُنُبِ فُسطاطٍ وكادتْ عُنُقُهُ أو عَينُهُ أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ قال:" ما من مسلم يُشاكُ بشَوكَةٍ فما فوقها، إلا كُتبَت لهُ بها درجةً، ومحيت عنهُ بها خطيئةٌ ".** (رواه مسلم)

- ***وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن عائشة -رضي الله عنها-:*** **" أن رسول الله ﷺ طرَقَهُ وجعٌ، فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه، فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوَجَدْتَ[1] عليه، فقال النبي ﷺ إن الصالحين يُشدّد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمنًا نكبةٌ من شوكةٍ فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة، ورُفع له بها درجة ".** (صحيح الجامع: ١٦٦٠) (الصحيحة:١٦١٠)

رابعًا: ومن فوائد المرض: الفوز بالجنة:

فالجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره ".** - ***وفي رواية:*** **" حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات ".**

والمكاره هي كل ما تكره النفس ويشقّ عليها، وهذا يتناول مجاهدة النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي، والصبر على المصائب، والتسليم لأمر الله فيها ". (فتح الباري:١١/ ٣٢٠)

١ ـ وَجَدْتَ: حزنت

خامساً: جملة من الفوائد والحكم للمرض:

فهذا المرض من أنفع الأدوية لأولياء الله ﷻ لأنه لو علم العبد منه بعض الفوائد والحكم التي تظهر له لسجد الله شكرًا على نعمة البلاء

وقد ذكر سلطان العلماء العز بن عبد السلام -رحمه الله- من فوائد الابتلاء منها: -

١- معرفة عز الربوبية وقهرها:

وأن الله ﷻ يبتلى من يشاء من عباده بما يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)

سبحان مـن يبتلي أناسـًا أحبهم والبلا عطـــاءُ
فاصبرْ لبلوى وكنْ راضيًا فإن هذا هـــو الـــدواءُ
سَلِّـم إلى الله مـا قضــاهُ ويفعـلُ اللهُ ما يشـــاءُ

لما مرض أبو بكر ﷺ فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال: قد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: ﴿إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ﴾ (أخرجه الإمام أحمد في الزهد بسند صحيح ص ١٤٠)

٢- معرفة ذل العبودية:

وإليه الإشارة بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٦)

فقولنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: نحن ملك لله ﷻ والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

٣- الإخـــــلاص لله - عز وجل -:

ففي أزمة البلاء يكون العبد أقرب للإخلاص إلى الله ﷻ، إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه. حتى المشركين إذا وقعوا في البلاء أخلصوا لله ﷻ، **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

٤- الإنـــابـــة (وهي الرجوع إلى الله - عز وجل- والإقبال عليه):

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ (الزمر:٨)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ (الروم: ٣٣)

فالمرض يريك فقرك وعجزك وحاجتك إلى الله تعالى، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتقبل عليه بعد أن كنت غافلًا عنه.

عن أبي المليح-رحمه الله- قال: " دخل صالح بن سماد على مريض يعوده وأنا معه، فلما قام من عنده قال: إنَّ رَبَكَ قد عاتبكَ فأعْتبه، أي: يقصد أن الله ﷻ يعاقبه على تقصير بدر منه أو ذنب زل فيه أو معصية لا تفارقه فابتلاه بمرضه هذا كي يرجع إلى ربه يعتذر إليه ويسترضيه ".

وقال شيخ الإسلام-رحمه الله-: " مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله ".

(تسلية أهل المصائب ص ٢٢٦)

فالمصائب تَردّ العبدَ الشارد إلى ربّه، وتذكّره بمولاه بعد أن كان غافلًا عنه، وتكفّه عن معصيته بعد أن كان منهمكًا فيها، فإن العبد متى كان صحيحًا معافى انهمك في ملذاته وشهواته وأقبل على دنيَاه فنسي مولاه، وتحيّن الشيطان غفلته فأوقعه في الشهوات والمعاصي، فإذا ابتلاه الله بمرض أو غيره استشعر ضعفه وذلّه وفقره إلى مولاه، وتذكّر تقصيره في حقه وتفريطه في جنبه، فعاد إليه نادمًا ذليلًا متضرعًا.

فقد أخرج ابن جرير-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف:١٦٨)

وأن المعنى: بلوناهم بالنعم والمصائب ليرجعوا إلى طاعة ربهم، وينيبوا إليه ويتوبوا من معاصيه.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال:

كنت مع سلمان وعاد مريضًا في كندة فلما دخل عليه قال: أبشر، فإنّ مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبًا، وإنّ مرض الفاجر كالبعير عقله أهله، ثم أرسلوه، فلا يدري لِمَ عُقِل ولِمَ أرسل!!

وقوله: " **ومستعتبًا** " أي: سببًا في محاسبة النّفس والرجوع عن الإساءة، ومعنى الحديث: أن المرض كفارة للمؤمن، وسبب في توبته وإيقاظه من غفلته، بخلاف الفاجر فإنه لا يزال مصرًا على المعصية، لم يؤثر عليه المرض ولم يعده إلى ربه، فلم يعرف أن المرض إنما نزل به لإيقاظه من الغفلة وإرجاعه إلى الحق، كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله، ثم أرسلوه، فلا يدري لِمَ أمسك ولِمَ أرسل!!

وجاء في كتاب عدة الصابرين ص ١٠٢ أن يزيد بن ميسرة -رحمه الله- قال: " إن العبد ليمرض وماله عند الله من عمل خير، فيذكِّر الله سبحانه بعضَ ما سلف من خطاياه، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله، فيبعثه الله إن يبعثه مطهرًا، أو يقبضه إن قبضه مطهرًا"

٥- التضرع والدعاء:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف: ٩٤)

فالله ﷻ يبتلي المرء وهو يحبه حتى يتضرع إليه ويرجوه ويسأله ويرجع إليه.

قال كُرْدُوسٍ الثعلبي -رحمه الله-: "وجدت في الإنجيل إذ كنت أقرأه: إن الله ليصيب العبدَ بالأمرِ يكرهه وإنه ليحبُّه، لينظر كيف تَضَرُّعُهُ إليه"

وقال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في تفسيره :٧/ ١٩٢": **عند قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعام: ٤٢): فامتحناهم ﴿بالبَأْسَاء﴾ وهي شدّة الفقر والضيق في المعيشة، و ﴿الضَّرّاء﴾ وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم، ليتضرّعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إليّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة.

ولقد ذم الله ﷻ أقوامًا ابتلاهم بالعذاب حتى يرجعوا ويتضرعوا إليه، فيرفع عنهم العذاب ويتوب عليهم إلا أن أبوا إلا المعصية والاستنكاف عن الرجوع **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦)، **وقال تعالى:** ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٣)

فالابتلاء من مرض وغيره ينزل ويحل بالعبد لعله يرجع إلى الله تعالى ويتضرع إليه، **قال تعالى:** ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٤٨) فكل هذه آيات دالة على أن الابتلاءات تأتي كثيرًا لإرجاع الناس إلى ربهم وإلى طريقه المستقيم، وذلك واضح من **قوله تعالى:** ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ- لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ- لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ- لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكن ينتفع بذلك من ينتفع ويفقه ذلك من يفقه.

أما الدعاء:

فالعبد يكثر من الدعاء في الشدائد لحاجته وفقره إلى الله ﷻ، **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧)

فلا يتعلق المريض في هذه الحالة بالأنداد والشركاء والأولياء، وإنما يتعلق بالله وحده، فيعلم أنه الحق وأنه المستحق لهذا التوجه والدعاء.

أيها المريض ... ألم يخطر ببالك أن الله ربما أصابك بهذا المرض ليسمع صوتك وأنت تدعوه؟ ويرى فقرك وأنت ترجوه؟

فمن فوائد المصائب: استخراج مكنون العبودية في الدعاء، فسبحانه يبتلي ليُدْعى، فإذا دُعِي أجاب،

وفي الأثر: أن الله ﷻ ابتلى عبدًا من عباده، وقال للملائكة لأسمع صوته (يعني بالدعاء والإلحاح)

وصدق من قال: ربما صحت الأجساد بالعلل.

فارفع يديك، وسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلّك وضعفك

جاء في كتاب الشكر ص ١٣٢ عن وهب بن منبه -رحمه الله- قال: " ينزل البلاء ليستخرج الدعاء ".

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: " ما يكره العبد خير له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه ". (الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص٢٢)

٦- رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم:

فإن العبد إذا أحسَّ بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم وهذا موجب لرحمة الله

فقد أخرج أبو داود وأحمد والترمذي: " **ارحموا مَنْ في الأرض يرحَمُكُمْ من في السماءِ** ".

إن انهماك المرء في حياته وانشغاله لتحصيل متاعها ومعافاته من الأمراض والعلل، كل هذا مما لا يدع لديه متسع من الوقت والفكر للبحث عن إخوانه المرضى ثم القيام بحقهم. ولهذا فمن حكمة الباري سبحانه أن يعرض المؤمن للابتلاء والأمراض والأسقام في بعض الأحيان، فيتذكر بما أصابه حال إخوانه المرضى الذين طالما غفل عنهم في حال صحته وسلامته، فيدعوه هذا إلى القيام بحقوقهم، من تعهدهم بزيارة، وقضاء حوائجهم، والتخفيف من مصابهم، ومواساتهم، والسعي في أسباب الشفاء لهم، والدعاء لهم بالعافية إلى غير ذلك من الحقوق.

٧- المرض يطهر القلب من الأمراض:

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في الشفاء العليل ص٥٢٤: " انتفاع القلب والروح للآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على ألام الأبدان ومشاقها ".

ويقول ابن القيم أيضًا: " إنَّ ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به إلى تمام الأجر وعلو المنزلة ".

وجاء في كتاب الزهد لهناد ص٢٤٧ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " **إنكم ترون الكافر في أصحِّ الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايّم الله، لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان** ".

٨- المرض يمنع الفخر والخيلاء والتكبر والتجبر:

فإنّ النمرود لو كان فقيرًا سقيمًا فاقد السمع والبصر لما حاجَّ إبراهيم في ربه، لكن حمله بطرُ الملك على ذلك **فقال:** ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات:٢٤)

قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (التوبة:٧٤)

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق:٦،٧)

أي إن الإنسان إذا رأى نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى:٢٧)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ (الإسراء: ٨٣)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٤٩)

وقال تعالى في شأن أقوام: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦)

قال فريق من العلماء: طال عليهم الأمد في النعيم فتنعموا نعيمًا طويلًا، وعاشوا زمانًا في العافية فقست قلوبهم فغفلوا عن ذكر الله ﷻ وعن دعائه وعن سؤاله ورجائه.

وقال آخرون: طال عليهم الأمد في البعد عن الوعظ والتذكير.

إن الصحة تدعو إلى الأشر والبطر والإعجاب للنفس، لما يتمتع به المرء من نشاط وقوة وهدوء بال فإذا قيده المرض وتجاذبته الآلام انكسرت نفسه، ورق قلبه، وتطهر من أدران الأخلاق الذميمة من الكبر والخيلاء والعجب والحسد وسائر الأمراض القلبية، وحل محله الخضوع لله والتواضع لعباد الله.

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلًا أو آجلًا، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في بعض الأحيان بأنواع من أدوية مصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه، ***كما قيل:***

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من البلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه ونقّاه وصفّاه أهّلَه لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه. اهـ.

(زاد المعاد: ٤/ ١٩٥ – عدة الصابرين ص ١٦١ – الشكر لابن أبي الدنيا ص ١٣٢)

٩- *معرفة قدر نعمة العافية:*

فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض.

وتذكيرك أيها العبد بآلاء الله ونعمه عليك، فكم منحك الله من نعمة، وكم دفع عنك من مكروه، ونعم كثيرة قد تغفل عنها في حال صحتك، نظرًا لانغماسك في التمتع بهذه النعم، فإذا أسَرَك المرض وأضعفك البلاء تذكّرت ما كنت ترفل فيه من نعمة قبل المرض، فكم من أوقات كثيرة وأزمنة مديدة كنت فيها طليقًا صحيحًا معافى، ثم تذكرت نعم الله الحاضرة عليك، فكم أبقى لك العقل الذي هو من أجلِّ النعم، وأنعم عليك بأن لم يكن مرضك أعظم مما كان، فيكون ذلك التّذكير سببًا في زيادة شكرك لربك وامتلاء قلبك بحبه وإجلاله وتعظيمه. وفي هذا أعظم المنفعة للعبد.

قال الشاعر:

لا يعرف المرء إذا لم يُصب   بنكبة ما مـوقع العافيـــة   (جنة الرضا:٢/١٣٩)

وقال ابن المعتزّ ـ رحمه الله ـ: الحوادث المضمضة مكسبة لحظوظ جزيلة، منها ثواب مدّخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وتعريف بقدر النعمة، وعون على مقارعة الدهر. (جنة الرضا:٢/١٣٩)

وقديمًا كانوا يقولون: " الصحة تاج على رءوس الأصحاء ".

ولا يعرف قدر هذا الكلام إلا من ابتلى في جسده فحُرِمَ من نعمة السمع أو البصر أو المشي وغير ذلك من نعم الله تعالى على العبد التي لا تعد ولا تحصى.

والإنسان منا لا يستشعر **قوله تعالى:** ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ (الإنسان: ٢٨) أي: وشددنا خلقهم وقوينا عضلات التحكم فيها، فلا يكاد الإنسان يستشعر هذه الآية إلا إذا ابتلى بِتفلُّت الريح أو سلس البول، أو سيلان الدم أو الشلل حيث لا يستطيع أن يتحكم في أعصابه أو قطع وتر أو الرشح المستمر من الأنف، فحينئذ يعلم فضل الله على الخلق **إذ قال:** ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ (الإنسان: ٢٨). اهـ. بتصرف واختصار (انظر محاسن التأويل للقاسمي)

أيها المريض: عليك بالصبر على هذا المرض، فإن ذلك عبودية الضراء.

– فاصبر وسل الله أن يعينك على الصبر، فهو سبحانه الذي يعطيك إياه، **قال تعالى لنبيه:** ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾ (النحل: ١٢٧)

واعلم **... أن الله يحبك إذا صبرت على هذا المرض، قال تعالى:** ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦)

– والله تعالى يبشر كل من صبر، **فقال تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥–١٥٧)

والمصيبة تشمل كل ما يسوء المرء، ***كما جاء في مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح عن عمر ابن الخطاب*** ﷺ: " أنه انقطع شسْع نعله فاسترجع وقال: كل ما ساءك فهو مصيبة ".

بل يخبرك الله تعالى أنه معك إذا صبرت على هذا المرض **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣)

- بل تدخل الملائكة عليك وتسلم عليك بسبب صبرك، **قال تعالى:** ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٣-٢٤)

واعلم ... أن صبرك على المرض له أجر عظيم

- **قال تعالى:** ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ . . . . إلى قوله . . . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)

- **وقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

- **وأعد الله تعالى الأجر لمن صبر فجعل له الغرف في جنات النعيم**

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان: ٧٥)

وأخرج البزار وابن حبان بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ ***قال:*** " جاءت امرأةٌ بها لَمَمٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادّعُ الله لي، فقال: إن شئت دعوتُ الله فشفاكِ وإن شئت صبرتِ ولا حساب عليك، قالت: بل أصبرُ ولا حسابَ عَلَي ".

ومما يدل على أن المرض هبة ورحمة وليس له جزاء إلا الجنة لمن صبر عليه

ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ ***قال:*** " جاءت الحمى إلى النبي ﷺ فقالت: ابعثني إلى آثر أهلك[1] عندك، فبعثها إلى الأنصار، فبقيت عليهم ستة أيام ولياليهن، فاشتد ذلك عليهم، فأتاهم في ديارهم، فشكوا ذلك إليه، فجعل النبي ﷺ يدخل دارًا دارًا، وبيتًا بيتًا، يدعو لهم بالعافية، فلما رجع تبعته امرأة منهم، فقالت: والذي بعثك بالحق إنّي لمن الأنصار، وإنّ أبي لمن الأنصار، فادع لي كما دعوت للأنصار. قال: ما شئت، إن شئت دعوت الله أن يعافيك، وإن شئت صبرت ولك الجنّة، قالت: بل أصبر، ولا أجعل الجنة خطرًا[2] ". (صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ١٨٨)

فكأنها تقول: لا أجعل الجنة خطرًا غير مضمون بإيثارها الدعاء منه ﷺ لها بالشفاء، وإنما تضمن الجنة بالصبر الذي به ضمن لها ﷺ الجنة.

(ذكر هذا المعنى الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ١٨٩ وقال: هذا ما بدا لي بعد التباحث مع بعض الإخوة الفضلاء)

ومن علامة الصبر والاحتساب عدم الشكوى:

فليحذر العاقل من أن يشكو ربه أرحم الراحمين إلى خلقه، فهذا من جهله بربه وجهله بالناس

١- آثر أهلك أي: أكرم وأفضل أهلك عندك، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} (يوسف: ٩١) (لسان العرب: ٤/٧).
٢ - والخطر في الأصل: الرهن وما يخاطر عليه. (النهاية:٢/ ٤٦)

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في كتابه الفوائد ص ٧٩: الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذه غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف رَبَّه لما شكاه، ولو عرف الناسَ لما شكا إليهم.

ورأى بعض السلف رجلًا يشكو إلى رجلٍ فاقته وضرورتَه فقال: " يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك ".

في ذلك قيل:

وإذا شكوتَ إلى ابن آدمَ إنما تشكو الرحيمَ إلى من لا يرحم

والعارف إنما يشكو إلى الله وحده، وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس، فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه.

فهو ناظرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠)

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩)

وقوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (آل عمران:١٦٥)

فالمراتب الثلاثة:

أخسَّها أن تشكو الله إلى خلقه، وأعلاها أن تشكو نفسك إليه ﷻ، وأوسطها أن تشكو خلقه إليه. اهـ.

أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مُؤمنًا فحمدني وصبر على ما بَليتُه، فإنهُ يقومُ من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقولُ الربُّ ﷻ للحفظة، إني أنا قيَّدتُ عبدي هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبلَ ذلك من الأجر، وهو صحيح ".** (صحيح الجامع: ٤٣٠٠)

وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال اللهُ تَعالى : **" إذا ابتليتُ عبديَ المؤمنَ ولمْ يشكُني إلى عُوادِهِ أطلقتُهُ مِنْ إساري ، ثمَّ أبدلتُهُ لحمًا خيرًا مِنْ لحمِهِ ، ودمًا خيرًا مِنْ دمِهِ ، ثمَّ يستأنفُ العملَ ".** (صحيح الجامع: ٤٣٠١)

فيا له من ربٍّ رحيم وسعت رحمته كل شيء . سبحانه وتعالى .

وأخرج الإمام مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار قال: **" إذا مَرِضَ العبدُ بَعَثَ اللهُ تعالى إليه ملكين، فقال: انظرا ماذا يقول لعُوَّادِه[1] فإن هو إذا جاءوه حمد الله، وأثنى عليه، رفعا ذلك إلى الله ﷻ وهو أعلم، فيقول: لعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدل له لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه وأن أكفر عنه سيئاتهِ ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٣١) (الصحيحة: ١١٤٦)

وإذا اعترتك بلية فأصبر لها صبر الكريم فإنه بك أكرم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

١- لعُوَّادِه: أي زُوَّاره

أسباب الصبر على المرض

١ - العلم بأن المرض مقدّر من عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١)

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢)

قال ابن جرير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بجدوبها وقحطوها، وذهاب زرعها وفسادها ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني: إلا في أمّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني من قبل أن نخلقها. اهـ. (تفسير ابن جرير :٢٧/ ٢٣٣)

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١)

٢ - أن يعلم المريض أن مرضه قد يكون أعظم من هذا فليحمله هذا على الحمد والرضا:

وقال الغزالي -رحمه الله-: "كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله لا تتناهى، فلو ضعّفها الله وزادها ماذا كان يردّه ويحجزه، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.... فإذن ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حقّ التأمل في سوء أدبه ظاهرًا وباطنًا في حقّ مولاه؛ لكان يرى أنه يستحقّ أكثر مما أُصيب به عاجلًا وآجلًا، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر، ومن استحقّ عليك أن يقطع يديك، فترك إحداهما فهو مستحق للشكر.

(الإحياء:٤/ ١٢٨)

وعن عبد العزيز بن أبي روّاد -رحمه الله- قال: رأيت في يد محمد بن واسع - رحمه الله - قرحةً، قال: فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال لي: تدري ماذا لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ فأسكت، قال: إذ لم يجعلها على حَدَقتي (أي: عيني) ولا على طرف لساني، ولا على طرف ذكري. فهانت عليّ قرحته.

(الشكر لابن أبي الدنيا ص ١٤٠)

ومن أسباب الصبر على المرض.

٣- أن يعلم المريض أن هذا البلاء (المرض) ما نزل إلا بذنب وقع فيه ولم يتب منه:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠)

وأخرج الطبراني في الصغير وأبو نعيم في أخبار أصبهان عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا اخْتُلِجَ[1] عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ". (صَحِيح الْجَامِع: ٥٥٢١) (الصحيحة: ٢٢١٥)

- وفي رواية: "وما يعفو الله عنه أكثر ".

ويقول علي بن أبي طالب ﷺ: "ما نزل بلاءٌ إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة ".

فما زالت عن العبد نعمة، ولا حلت به نقمة، وتحول الله له من حال العافية إلى حال البلاء إلا بكسبه وما صنعت يداه ".

أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر-رضي الله عنهما - قال: " أقبل علينا ﷺ رسول الله فقال: يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدْرِكُهْن: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونةِ وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهُم بكتاب الله ويتخيروا ما أنزل الله إلا جعل اللهُ بأسهم بينهم ".

وقال زيادُ بن الربيع-رحمه الله-: " قلت لأُبيِّ بن كعب آيةٌ في كتاب الله قد أخذتني: قال: ما هي؟ قلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣) قال: ما كنتُ أراك إلا أفقهُ مما أرى، إنَّ المؤمن لا تصيبه عَثرةُ قدم، ولا اختلاج عِرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر".

وعن الحسن-رحمه الله-: " أن عمران بن حصين ﷺ ابتلى في جسده فقال: ما أراه إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر وتلا: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)

وهكذا يعود العبد باللوم على نفسه وينزه ربه عن الظلم، فيحسن الظن بربه، راضيًا بقضائه وقدره.

١-اختُلِج: أي انتُزِعَ، أو اقتُطِع

ومن أسباب الصبر على المرض.

٤- أن يذكر المريض ابتلاء من كان من أهل الفضل والصلاح ويتسلى بسيرتهم العطرة، وصبرهم على المرض وكيف كانت عاقبتهم:

فها هو أيوب عليه السلام الذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣)

فلقد لبث هذا النبي الكريم في المرض ثمانية عشر عامًا، حتى رفضه القريب والبعيد اللهم إلا زوجته واثنين من أبناء عمومته، فصبر واحتسب، فشفاه الله تعالى وأثنى عليه وأعطاه من خير الدنيا.

فقد أخرج ابن حبان بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثمانيَ عشرةَ سنةً، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يَغْدُوانِ إليه ويَرُوحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله، لقد أذنب أيوبُ ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له: صاحبهُ وما ذاك؟ قال: منذ ثمانيَ عشرةَ سنةٍ لم يرحمه الله فيكشفُ ما به. فلما راح إليه لم يصبر الرجلُ حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمُرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، وأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يُذكرَ الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته امسكَتِ امرأتُه بيده، فلما كان ذات يومٍ أبطأ عليها، فأوحى اللهُ إلى أيوب في مكانه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (سورة ص: ٤٢) فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاءِ فهو أحسن مما كان، فلما رأتهُ قالت: أي بارك اللهُ فيك، هل رأيت نبي الله المبتلى؟ والله ـ على ذلك ـ ما رأيتُ أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا. قال: إني أنا هو، وكان له أَبدَرانِ: أَبدَر القمح وَأَبْدَر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أبدَر القمح أفرغت فيه الذهبَ حتى فاضت، وأفرغت الأخرى على أبْدر الشعيرِ الوَرِق حتى فاضت ".

فانظر لهذا الفضل الكبير الذي نالهُ هذا النبي الكريم لمّا صبر على المرض، بل نال أفضل من ذلك، **أن أثنى الله تعالى عليه فقال:** ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: ٤٤)

وقال الحافظ: **أصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه، وابن حبان، والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل، عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه:** " أن أيوب ابتلى، فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبًا عظيمًا، وإلا لَكُشِفَ عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن، ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته، وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك وضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، فرجع صحيحًا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو. وكان له أَنْدَرَان: أحدهما للقمح والآخر للشعير، فبعث الله سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض.

(فتح الباري:٦/٤٢١)

وهكذا كشف الله تعالى عنه البلاء بعد سنوات طويلة من الصبر، بل وخلَّد الله تعالى ذكره في كتابه الكريم. **فقال تعالى:** ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: ٤١-٤٤)

فيا له من مدح أن يقول الله العظيم الجليل عن عبدٍ من عباده: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وهكذا ينبغي أن تكون أيها المريض عندما يحل بساحتك البلاء أو الأمراض والأسقام أن يقال عنكَ: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ **ويقال عنك أيضًا:** ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

اللهم طبِّب بفضلك أسقامنا، وأبرئ بعفوك أوجاعنا، فأنت طبيبُنا، وأنت حبيبُنا.

آمين .... آمين .... آمين

تنويه وتنبيه:

عندما أتكلم عن فضل المرض، فإنما أتوجه بهذا الكلام إلى المرضى، حتى أخفف عنهم من الآلام، وأرفع عنهم الأحزان، ويستبشروا بما لهم من أجر وثواب. لكن هناك من الأصحاء من يسمع عن فضل المرض فيتمنى أن يمرض ليحوز هذا الفضل، وينال هذا الأجر، وهذا خطأ، لأنه ربما يبتلى بالمرض الذي كان يتمناه فلا يصبر، ويُكثر من الشكوى، وتراه دائم الجزع والتسخط، وقد ذهبت عنه الصحة، وضاع منه الأجر، فعلى الإنسان أن يحمد الله على العافية، فما أُعطي أحدٌ شيئًا بعد الإسلام أفضل من العافية.

فقد أخرج الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: **قلت:" يا رسول الله! علمني شيئًا أسأله الله"، قال:" سل الله العافية ". فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت:" يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله"، فقال لي: " يا عباس، يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة ".** (صحيح الترمذي)

قال المباركفوري-رحمه الله- في شرح الترمذي: " في أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام، والعافية هي دفاع الله عن العبد، فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عن كل ما يؤذيه، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه، ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى، ويستدفعون به في كل ما يهمهم، ثم كلمه ﷺ بقوله: **"سل الله العافية في الدنيا والآخرة"** فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا". اهـ بتصرف (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري: ٣٩٥/٩)

- ***وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ما سُئل الله شيئا أحب إليه من أن يُسأل العافية ".**

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :*** **" سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية."** (صحيح الجامع ٣٦٣٢).

قال المناوي-رحمه الله-: وقوله:" سلوا اللّه العفو والعافية" أي: واحذروا سؤال البلاء، " فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية " أفرد العافية بعد جمعها لأن معنى العفو محو الذنب، ومعنى العافية السلامة من الأسقام والبلاء فاستغنى عن ذكر العفو بها لشمولها، ثم إنه جمع بين عافيتي الدنيا والدين- في حديث العباس ﷺ-لأن صلاح العبد لا يتم في الدارين إلا بالعفو واليقين، فاليقين يدفع عنه عقوبة الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه. اهـ. (فيض القدير للمناوي: ٥٢/٢).

- ***وكان من دعائه ﷺ:*** **" اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية ".** (رواه مسلم عن ابن عمر).

- ***وكان رسول الله ﷺ لا يدع سؤال ربه العفو والعافية حين يمسي وحين يصبح:*** **" اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعاتي؛ اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي".** (رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-).

- ***وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ عاد رجلًا قد جهد حتى صار مثل فرخ [أي ضعف] فقال له:*** **" أما كنت تدعو، أما كنت تسأل ربك العافية"، قال:" كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا"، فقال النبي ﷺ:" سبحان الله إنك لا تطيقه، أو لا تستطيعه، أفلا كنت تقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار".**

- ***وكان عبد الأعلى التيمي-رحمه الله- يقول:*** " أكثروا من سؤال الله العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم، ولو كان البلاء يجر إلى خير ما كنا من رجال البلاء، إنه رُب بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة، فما يؤمن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخرة ".

والصحة والعافية من أجل النعم الله على المرء، فمن أصبح في عافية وستر فكأنما حاز الدنيا وما فيها. ***فقد أخرج الترمذي عبد الله بن مِحْصَنٍ الأنصاري ﷺ قال رسول الله ﷺ:*** **" من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا ".**

- ***وفي الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لمن سأله كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال قل :*** " اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك .(رواه مسلم من حديث طارق الأشجعي ﷺ) .

وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول: " لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أُبتلى فأصبر".

همسات في أذن المريض

الهمسة الأولى... عليك أن تحسن الظن بالله تعالى:

أيها المريض ... إذا طال بك المرض واستمرت بك الآلام فلا تسيئ الظنّ بربّك، وتعتقد أن الله – تعالى– أراد بك سوءًا، وأنه لا يريد معافاتك، وأنه ظالم لك، فإن ذلك جرم عظيم وخطر جسيم.

فالله سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضّل، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤). **وقال سبحانه:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠)

وفي الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم يقول الله ﷻ: " يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ".

فما أصابك وما قدّره الله عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن البنى ﷺ:

" ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك ". (أخرجه أحمد في مسنده)

واعلم أن الله عند ظنّك به، فإن ظننت به خيرًا حقق ذلك لك، وإن ظننت به سوءًا كان الله عند ظنّك

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يقول الله ﷻ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ".

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن حَيَّانَ أبي النضر قال: " خرجت عائدًا ليزيدَ بن الأسود فلقيتُ واثلةُ بن الأسقع وهو يريدُ عيادتَهُ فدخلنا عليه، فلما رأي واثلةَ بَسَطَ يَدَهُ وجعل يشيرُ إليه، فأقبل واثلةُ حتى جلس، فأخذ يزيد بكفيْ واثلةَ فجعلها على وجهه، فقال له واثلةُ: كيف ظَنَّكَ بالله؟ فقال: ظني بالله واللهِ حَسَنٌ، قال واثلةُ: فأبشر، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: أنا عند حُسن ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فَلَهُ وإن ظَنَ شرًا فَلَهُ ".

وقوله تعالى: " أنا عند حُسن ظن عبدي بي ". ***قال ابن الجوزي–رحمه الله –:*** "أي: في الرجاء وأمل العفو".

- ***وفي رواية:*** " أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء " (رواه أحمد والطبراني) ***وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ:*** " أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنّ خيرًا فله، وإن ظنّ شرًا فله ".

(رواه الإمام أحمد وقال الألباني سنده صحيح، انظر الصحيحة:٤/٢٥)

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في الجواب الكافي صـ٣٦: " يعنى ما كان في ظنّه فإني فاعله به ".

فاجعل أيها المريض حسن الظن بالله شعارك ودثارك وقوِ به رجاءك.

يقول سهل القطعي: **" رأيت مالك بن دينار -رحمه الله- في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به على الله ﷻ ؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن الظن بالله".**

(حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا صـ ٩٦)

وحسن الظنّ بالله تعالى هو عبادة وقربة إلى الله تعالى.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" إنَّ حسن الظنّ من حسن العبادة ".**

قال ملا على القاري -رحمه الله -: " المعنى أن حسن الظنّ به تعالى من جملة العبادات الحسنة ".

(المرقاة: ٧٧٩/٨)

وقد أمر النبي ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت

حيث قال ﷺ كما في صحيح مسلم: **" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ ".**

- قال النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم: ١٧/٢٨" قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، ومعنى حسن الظنّ بالله تعالى أن يظنّ أنه يرحمه ويعفو عنه.

- جاء في كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا صـ٩٢ عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال:

جئت إلى سفيان عشية عرفه وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت: فالتفت إليّ، فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا ؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم ".

وقال بعض الشعراء:

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لمرئ حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله (أدب الدنيا والدين صـ٤٦٩)

وللعلامة ابن القيم – رحمه الله – كلام قيّم حول إساءة الظنّ بالله ووجوب التوبة منه، إليك طرفًا منه.

قال -رحمه الله -: " أكثر الخلق، بل كلهم ـ إلا من شاء الله ـ يظنون بالله غير الحق ظنّ السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ***ولسان حاله يقول:*** ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتّش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأي ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك.

فإن تنجُ منها تنج من ذي عظيمةٍ ... وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كلّ وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السّوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظْنُنْ بربّك ظـن سـوءٍ ... فـإن الله أولـى بـالجميـل
ولا تظنن نفسك قـطّ خـيرًا ... وكيف بظـالمٍ جـانٍ جهول
وقل يا نفس مأوى كل سوءٍ ... أيُرجى الخير من ميتٍ بخيل
وظنّ بنفسك السّوآي تجدها ... كـذاك وخيرها كالمستحيـل
وما بك من تقى فيها وخيرٍ ... فتلك مـواهب الرّب الجليـل
وليس بهـا ولا منهـا ولكن ... مـن الرحمـن فاشكر للدّليل

. أهـ. (زاد المعاد:٣/٢٣٥)

وحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، وأن ينتظر منه فضلًا، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإن من أمره في كلمةٌ "كُن"، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضرّ إلا هو، وله في كل نفس لطفٌ، وفي كل حركةٌ حكمةٌ، وفي كل ساعة فرجٌ، جعل بعد الليل صبحًا، وبعد القحط غيثًا، يُعطي ليُشكر، ويَبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلِّط البلاء ليُرفع إليه الدعاء، فحريٌّ بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، **قال تعالى:** ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(النساء:٣٢) **وقال تعالى:** ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥) (لا تحزن صـ ٣٤٥ بتصرف)

ومن المعلوم أن من أحسن الظن بالله فإنه سيحب لقاءه، ومن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادةَ بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" من أحبَّ لقاءَ الله أحب الله لقاءَهُ، ومن كره لقاءَ الله كرِهَ اللهَ لقاءَه ".**

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضًا عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" قال الله ﷻ: إذ أحب عبدي لقائي أحببتُ لقاءهُ وإذا كرِهَ لقائِي كرهتُ لقاءه ".**

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **" من أحَبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءهُ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءَهُ، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكُلُّنَا نَكْرهُ الموت. قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاءَ الله فأحَبَّ اللهُ لقاءهُ، وإن الكافرَ إذا بشر بعذابِ اللهُ وسخطهِ كرِهَ لقاء الله وكرِه الله لقاءهُ ".**

الهمسة الثانية: إياك واليأس والقنوط من رحمة الله:

أخي المريض... إياك والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦)

وقد ورد الوعيد في حق من قنط من رحمة الله أو شك في أمر الله

فقد أخرج الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **" ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله إزاره، ورجل ينازعُ الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء، وإزاره العِزُّ، ورجل في شكّ من أمر الله، والقنوط من رحمة الله ".**(صحيح الجامع:٣٠٥٩)

أخي المريض... لا تيأس من الشفاء مهما طال بك المرض واشتد، ومهما كان نوع مرضك، وانتظر الفرج، فالفرج مع الكرب، ومع العسر يسر والبلايا لها انكشاف بإذن الله.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى: ٢٨)

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥-٦) فلن يغلب عسرٌ يسرين.

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس –رضي الله عنها – قال، قال رسول الله ﷺ:

" واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا ".

قال ابن رجب –رحمه الله– كما في "جامع العلوم والحكم صـ١٩٦":

ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس في كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أكبر الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، **كما قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)

قال الفضيل–رحمه الله–:"والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد ".

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: **" ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره[1]" قال: قلت: يا رسول الله، أوَ يضحك الرب؟ قال:" نعم "، قلت: لن نعدم من ربّ يضحك خيرًا.**

– وفي رواية: **"يشرف عليكم أزلين[2] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قرب ".**

(رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير)

١ - وقوله:" غيره " الغير: تغيّر الحال وانتقالها إلى حال أخرى. (النهاية:٣/٤٠١)، (اللسان:٥/٤٠).
٢ - وقوله: " أزلين " الأزل: الشدة والضيق، أي أنكم في ضيق وشدة ويأس. (النهاية:١/٤٦)

ولهذا نجد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- مجانبين لليأس مهما اشتدت بهم الأمور.

فهذا نبيّ الله يعقوب عليه السلام يقول بعد دهر طويل من فراقه ليوسف عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)

فمنّ الله عليه بأن جمعه بيوسف وأخيه بعد فراق طويل.

وهذا نبيّ الله أيوب عليه السلام مكث في بلائه ومرضه ثمانية عشر عامًا، ولم ييأس من الشفاء، ودعا ربّه كما حكى الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فكان فرج الله قريبًا، **قال تعالى:** ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣،٨٤)

وهناك حوادث كثيرة جدًا تدل على وقوع الفرج بعد الشدّة، منها إنجاء الله نوحًا عليه السلام وإغراق قومه الكافرين، وإنجاء إبراهيم عليه السلام من النار، وفداء ولده إسماعيل، وإنجاء موسى- عليه الصلاة والسلام- وإغراق فرعون وقومه، وإنجاء يونس عليه السلام من بطن الحوت، ورفع عيسى عليه السلام إلى ربّه، ومحمد ﷺ في وقائع كثيرة كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، في حوادث كثيرة من هذا الباب.

(الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ١٩-٢٣)

فلا تجزع بل استعن بالصبر والصلاة، فكل نبأ له مستقر، وكل دنيانا ستزول وتنتهي، فاخرج من الاختبار موفقًا صابرًا.

قال إبراهيم الصولي – رحمه الله -:

ولرّب نازلــة يضيق بهــا الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنّها لا تفرج

(وفيات الأعيان:١/٤٦)

وقال عبيد بن الأبرص:

اصبر النفس عند كــلّ مهمّ إن في الصبر حيلة المحتال

ربّما تجزع النفوس من الأمر لـــه فرجةٌ كحــل العقــال[١]

(مجموعة المعاني لعبد السلام هارون:٢ /٦٢٣)

١ - العقال: الرباط الذي يعقل به، وهو حبل تثنى به يد البعير إلى ركبته. (لسان العرب :١١/٤٥٩).

الهمسة الثالثة: إياك أن تشكو الله -تعالى- إلى خلقه:

عليك أخي المريض بأن لا تشكو الله – سبحانه – إلى المخلوقين، واجعل شكواك إلى الله ﷻ، فهو أرحم بك من نفسك ومن الناس أجمعين، وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي أنزل بك المرض، وهو القادر على رفعه وإزالته.

قال ابن القيم–رحمه الله–: " والشكوى إلى الله ﷻ لا تنافي الصبر، فإن يعقوب ﷺ وعد بالصبر الجميل – والنبي إذا وعد لا يخلف – ثم قال: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (يوسف: ٨٦) وكذلك أيوب ﷺ أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا، مع قوله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

وانما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأي بعضهم رجلًا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم، فإنه بك أرحم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

(مدارج السالكين:٢/١٦١)

وقد التزم سلفنا الصالح هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولاهم إلى خلقه.

- فهذا داود الطائي – رحمه الله – يدخل عليه رجل وهو على فراشه، فرآه يزحف، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال داود: مه[1]، لا تُعلم بهذا أحدًا. وقد أُقعِد[2] قبل ذلك بأربعة أشهر لم يعلم بذلك أحد. (تسلية أهل المصائب صـ٢١٦) (سير أعلام النبلاء ٤: /٩٢)

– ***وقال الأحنف بن قيس:*** " أصبحت يومًا اشتكى ضرسى، فقلت لعمّى: ما نمت البارحة من وجع الضرس، حتى قلتها ثلاثًا. فقال: لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد ". (الأحياء:٤/١٣٣)

– ولما نزل في إحدى عيني عطاء – رحمه الله – الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قبل عينه التي أصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أصيب˙ (تسلية أهل المصائب ص٢١٥)

– ***وقال سيّار بن سلامة –رحمه الله–:*** " دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، فقال: إن أحبَّه إليّ أحبُّه إلى الله ﷻ ".

١- مه: أي: كفّ عن الحديث وهي كلمة زجر وفهي (تهذيب اللغة:٥/٣٨٤).
٢- أُقعِد: أي: صار مقعدًا لا حراك به بسبب المرض (تهذيب اللغة:١/٢٠٤).

- ***وكان خالد الربعي*** - ***رحمه الله*** - لا يشكو ما يجد إلى أحد، فاشتكى فأصابته ذات الجنب، فذهب ينخاع فانخاع دمًا، فأنّ عندها، وكان لا يئن من وجع فاستدركها فقال: إلهي، ما هذا جزاؤك عندي أن أئِن على وجعٍ ابتليتني به ".

سبحان الله!! يستحى أن يئن لئلا يكون أنينه هذا شكوى.

- ***وهكذا حدث مع الإمام أحمد*** - ***إمام أهل السنة والجماعة***- كان يئن في مرضه الذي مات فيه، فبلغه حديث عن طاووس أن كل شيء يكتب حتى الأنين فما أَنَّ حتى مات – رحمة الله عليه –.

- **قال بعض الفقهاء:**" **من الصبر ألا تحدّث بمصيبتك ولا وجعك ولا تزكى نفسك** ".

- ***وقد ورد في فضل الإمساك عن الشكوى لغير الله كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **قال الله تعالى: " إذا ابتليت عبدي المؤمن، فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل** ".(صحيح الجامع: ٤٣٠١)

تنبيهان:

١- إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله؟ أو إخبار الطبيب، أومن يرجو أن يدله على الدواء، فهذا جائز ولا ينافي الصبر، ***فإن النبي ﷺ قال لابن مسعود ﷺ كما في صحيح البخاري:*** " **إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** ".

ولما قالت عائشة – رضي الله عنها -: **وارأساه!! قال: " بل أنا، وارأساه** ". (رواه البخاري)

وقال البخاري –رحمه الله – كما جاء في" فتح الباري ١٠/١٢٣": باب ما رخّص للمريض أن يقول: " **إني وجع** " أو " **وارأساه** " أو " **اشتد بي الوجع** "، ثم ساق أحاديث تشهد لذلك، منها حديث ابن مسعود وحديث عائشة السابقان.

٢- يستحب للمريض إذا سئل عن حاله أن يبدأ أولًا بحمد الله تعالى، ثم يبين حالة بعد ذلك.

فقد قال ابن مفلح –رحمه الله -:" ويخبر بما يجده بلا شكوى، وكان الإمام أحمد – رحمه الله – يحمد الله أولًا، **لخبر ابن مسعود ﷺ:**" **إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك** ". (الفروع:٢/١٧٦)

قال ابن القيم –رحمه الله- كما في عدة الصابرين صـ١٠٧:" إذا حمد المريض الله ثم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه، وإن أخبر بها تبّرما وتسخطًا كان شكوى منه ".

الخمسة الرابعة: ... أيها المريض! عليك بالدعاء:

المرض نازل بالعبد بقدر من الله . سبحانه وتعالى . كما تقدّم بيانه، وهو القادر على رفعه، فمنه البلاء ومنه العافية – جل وعلا – قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ كان يقول: **"اللهم ربَّ الناس مُذهب البأس اشفِ أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا ".**

فعلى المريض أن يتوجه بكُليته إلى من بيده الشفاء ورفع البلاء (مع الأخذ بالأسباب)

فعليك أخي المريض بالدعاء والتضرع إلى الله – سبحانه وتعالى – في أن يشفيك ويرفع ما أنزل بك، وهو سبحانه قريب مجيب، يحب من عباده أن يسألوه، ويثيبهم على سؤالهم بالإجابة وبالثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، **وقال تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) (الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٤-٨٣)

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢)

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تدلّ على أن الله تعالى قريب مُجيب، حيي كريم، يجيب دعاء الداعين، وينفِّس كرب المكروبين. ويرفع البلاء عن المبتلين، لكن هناك مقصدًا آخر من الدعاء هو الخضوع والتذلل لله تعالى، فهو عبادة وترك الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالًا على ما قُدِّرَ، فيلزم ترك العمل جُملة.

واعلم أخي المريض أن رد البلاء بالدعاء كرد السهم بالترس[1]، وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يترَس من رُمِيَ السهم

واعلم أخي المريض أن الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفعه بعد نزوله.

أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **" الدعاء ينفع مما نزل وممَّا لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء ".** (حسنه الألباني في صحيح الجامع:٣٤٠٩، وصحيح الترمذي: ٢٨١٣)

أخرج الترمذي عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ".** (صحيح الجامع: ٧٦٨٧)

١- التُرس: ما يُتوقى به في الحرب (المعجم الوسيط: ٨٣/١)

وأخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يردّ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل لَيُحرم الرزق بالذنب يصيبه ".**

قال الغزالي –رحمه الله – كما في" إحياء علوم الدين: ١/٣٢٨":

فإن قلت: ما فائدة الدعاء، والقضاء لا مردّ له؟ فاعلم أن من القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن التُرس سبب لردّ السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء

وقال ابن تيمية –رحمه الله –:

الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق... والله أعلم

(الفتاوى: ٨/١٩٣)

ومما يدل على أن الدعاء يرفع الوباء والبلاء

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها – قالت: قال النبي ﷺ: **" اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حمها إلى الجحفة، اللهم بارك مُدِّنا وصاعنا[1]".**

قال الخطابي وغيره: كان ساكنوا الجحفة في ذلك الوقت يهودًا.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في كتابه الجواب الكافي صـ ١٧ : والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاث مقامات: **أحدها:** أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. **الثاني:** أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يُخفّفه وإن كان ضعيفًا. **الثالث:** أنم يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه ".

أخرج الحاكم من حديث عائشة–رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال: **" لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزلُ فيتلقاهُ الدعاء فيعتلجان[2] إلى يوم القيامة ".**

(صحيح الجامع: ٧٧٣٩)

تنبيه:

حديث: **" الدعاء سلاح المؤمن "** حديث ضعيف رواه أبو يعلى، وهي مأثورة عن الفضيل بن عياض.

---

١ ـ الصاع: أربعة أمداد.

٢ـ يعتلجان: يتصادمان ويتدافعان.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" يُستَجَابُ لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوتُ ربي فلم يستَجِبْ لي ".**

وفي رواية عند مسلم: **" لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم . ما لم يستعجل . قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فَيَسْتَحْسِر عند ذلك ويَدَع الدعاء ".**

ـ قولـه:" يقول دعوت فلم يستجب لي " ***قال ابن بطال –رحمه الله–:*** المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء، فيكون كالمانّ بدعائه. (فتح الباري: ١١/١٤٠)

وقال ابن حجر –رحمه الله– كما في فتح الباري: " معنى "**يستحسر**": ينقطع. وفي الحديث أدب من آداب العلماء، وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار. اهـ.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في" الجواب الكافي صـ ١٩": ومن الآفات التي تمنع ترتّب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فَيَسْتَحْسِر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله. فالمؤمن الحق ربما يبالغ في الدعاء ويُكثر منه، لكن لا يرى له أثرًا، ومع هذا لا يتغير أمله ورجاؤه ويلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، والمطلوب هو الصبر والتسليم في جميع الأحوال، فربما لم يستجب الله له لينظر كيف صبره، أو أنه يريد منه أن يكثر التضرع واللجوء إليه ومناجاته، فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقًا على ربه، وربما يترك الدعاء إذا تأخرت الإجابة فيكون كالمنان على ربه. فها هو يعقوب عليه السلام: بقى سنين في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فقد يوسف وبعد سنين يفقد بنيامين ومع ذلك لم يتغير أمله ورجاؤه في الله، **فقال:** ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ٨٣)

فلا تيأس أيها المريض من روح الله وإن طال البلاء، وعليك بملازمة الصبر وكثرة الدعاء. والله اسأل أن يزيل همك ويكشف كربك ويشفيك شفاء لا يغادر سقمًا، آمين ..... يا أرحم الراحمين.

وأخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إيّاه، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذن نكثر!! قال: الله أكثر".** **يعني أكثر إجابة**

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذن نكثر !! قال: الله أكثر ".**

قال ابن حجر – رحمه الله – كما في" فتح الباري :١١/٩٥" :" كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه " ثم ذكر هذين الحديثين ".

وقال ابن الجوزي –رحمه الله–: " اعلم أن دعاء المؤمن لا يردّ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوّض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا ". (فتح الباري: ١٤١/١١)

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: **" إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه ".** (فتاوى ابن تيمية: ١٩٣/٨)

قال ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الجواب الكافي صـ ٢٧": " وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما عوّدتني الطلبا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة. أهـ

– ***وأخرج أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** **" إن ربّكم حييّ كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صِفْرًا [1] خائبتين ".**

– ***وفي رواية:*** **" إن ربّكم حييّ كريم، يستحيي أن يبسط العبد يديه إليه أن فيرُدَّهما صِفْرًا ".**

(صحيح الجامع: ٢٠٧٠)

فعليك أخي الكريم بالإكثار من الدعاء وسؤال الشفاء والإلحاح على الله في ذلك، وكن على يقين بالإجابة، فإنّ هذا أحرى للقبول، ***كما قال*** ﷺ: **" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ ".** (رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٢٤٥)

وعليك بالمداومة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفرّ إلا إلى مولاه ﷻ

قال السري السقطي –رحمه الله–: " كن مثل الصبي إذا اشتهي على أبويه شهوة فلم يمكناه قعد يبكي لهما، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربّك ولم يعطك فاقعد فابك له ". (شعب الإيمان للبيهقي: ٢٤٦/٣)

وقال أبو الدرداء ﷺ:

" من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له". (شعب الإيمان)

وقال الثعالبي المفسِّر:

أصاب له في دعوة الله مخرجا وربّ فتى سُدّت عليه وجوهه

عليّ فما ينفكّ أن يتفرّجا وإني لأدعو الله والأمر ضيّق (طبقات السبكي: ٥٨/٩)

١- والصِفر: الفارغ.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في الجواب الكافي ص ٩١ مبينًا آداب الدعاء:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستّة، وهي: **الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر**

وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب وذلًا له وتضرعًا ورقّة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة ـ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، ولاسيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي أنها مظنّة الإجابة، أو أنها متضمّنة للاسم الأعظم. اهـ.

فهذه جملة من آداب الدعاء ذكرها ابن القيم والتي بها لا يرد الدعاء إن شاء الله فاحرص على تحقيقها

همسة في أذن أولياء المريض: عليكم بالرفق به وأن تمنعوه مما يؤذيه ويضرّه:

فقد أخرج أبو داود عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية–رضي الله عنها– قالت: **" دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ ﷺ وعليٌّ ناقِهٌ [١]، ولنا دوالي معلقة [٢]، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علي ليأكل، فطفق[٣] رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ ﷺ:" مه [٤] إنك ناقهٌ، حتى كف عليٌّ ﷺ، قالت: وصنعت شعيرًا وسلقًا فجئت به، فقال رسول الله ﷺ يا عليُّ! أصب من هذا، فهو أنفع لك ".** (صحيح أبي داود:٣٢٦٥)

وأخرج الترمذي من حديث قتادة بن النعمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" إذا أحبَّ الله عبدًا، حماه الدنيا كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمه الماء ".** (صحيح الجامع:٢٨٢)

وأخرج الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

" إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يُحبهُ، كما تحمُون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ". (صحيح الجامع:١٨١٤)

١- ناقِهٌ: بالقاف المكسورة ، يقال : نقه المريض ينقه فهو ناقه إذا برأ وأفاق فكان قريب العهد من المرض لم يرجع إليه كمال صحته وقوته.
٢- دوالي معلقة: جمع دالية وهي العذق من البسر يعلق فإذا أرطب أكل.
٣- فطفق: أي أخذ وشرع.
٤- مه : اسم فعل بمعنى كف وانته وهو مبني على السكون.

ثانياً: فضل عيادة المريض

لقد أوجب الإسلام للمسلم على إخوانه حقوقًا، وألزمهم القيام بها، وهذه الحقوق توثق الروابط بين أفراد المجتمع، وتقوي بينهم العلاقات، ومن هذه الحقوق: عيادة المريض، وهي من حق المسلم على أخيه المسلم. ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:*** **" حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ[١] ".**

ورواه مسلم أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **" حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ "، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَالَ " إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ".**

قال الشوكاني –رحمه الله- : " وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: **"حَقُّ الْمُسْلِمِ"** أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ وَيَكُونُ فِعْلُهُ إمَّا وَاجِبًا أَوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا شَبِيهًا بِالْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَعْنَيَيْنِ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْوَاجِبِ، كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَذَا يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الثَّابِتِ وَمَعْنَى اللَّازِمِ وَمَعْنَى الصِّدْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: الْمُرَادُ بِالْحَقِّ هُنَا الْحُرْمَةُ وَالصُّحْبَةُ." . اهـ. (نيل الأوطار: ٤/٢١)

– ***وأخرج البخاري عن أَبي موسى ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :*** **" عُودُوا المَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وفكُّوا العَاني ".**

– ***وأخرج الطحاوي في معاني الأثار من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :*** **" كن مع صاحب البلاء، تواضعًا لربِّك وإيمانًا ".** (الصحيحة:٢٨٧٧)

وزيارة المريض لها أثر نبيل في نفس المريض والمقربين منه، وعلى العائد أن يبشر المريض بالشفاء، وقرب العافية، ويذكره بالأجر والثواب على الصبر والأجور العظيمة لمن صبر على المرض.

- **عتاب من الله– تعالى– لمن قصَّر في حق المريض، وتهاون في زيارته:**

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أن الله ﷻ يقول يوم القيامة: **" يا ابن آدم مرضتُ فلم تعُدْني قال: يارب كيف أعُودُكَ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مَرِضَ فلم تعُدْهُ، أما علمت أنك لو عُدْتَهُ لوجدتني عنده[٢]، يا ابن آدم أَسْتَطْعَمْتُكَ فلم تطعمني، قال: يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه أستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ".**

١- تشميت العاطس هو أن يقول له إذا حمد الله: يرحمك الله، ثم يقول العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم.
٢- وجدتني عنده: أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل على ذلك قوله تعالى في تمام الحديث:" لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي" أي ثوابه، والله أعلم.

١- من عاد مريضًا فهو في حفظ الله ورعايته:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خمسٌ من فعل واحدة منهنَّ كان ضامنًا[1] على الله ﷻ: من عاد مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فَسَلِمَ الناس منه، وسَلِمَ من الناس ".

(صحيح الجامع: ٣٢٥٣، دون جملة الجنازة) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٧١)

٢- عيادة المريض ترقق القلب، وتذكر الآخرة:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والبزار من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" عُودُوا المرْضى، واتبعوا الجنائز، تذكركم الآخرة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٩٧)

ويروى أن رجلًا دخل على أم الدرداء-رضي الله عنها- وشكا إليها قسوة في قلبه، فقالت له: هي أعظم الداء، ولكن عُد المريض، وشيع الجنازة، واطلع في القبور، ففعل الرجل، فكأنه رأى في نفسه ما يسره، فرجع إليها فقال: خزاكِ الله خيرًا ".

٣- عائد المريض يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ:

" من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٧٧) (الصحيحة:٢٥٠٤)

وعند البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من عاد مريضًا خاض في الرحمة، حتى إذا قعد، استقرّ فيها ".

وأخرج الطبراني الإمام أحمد من حديث كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من عاد مريضًا خاض في الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٧٧)

وزاد الطبراني في رواية أخرى: " وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ".

(قال المنذري في الترغيب: إسناده حسن) (الصحيحة:١٩٢٩)

١- ضامن على الله: قال المناوي- رحمه الله -: أي في حفظ الله، وكلاءه، ورعايته.

٤- عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع:

- فقد أخرج الإمام مسلم عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرْفَةِ[١] الجنة حتى يرجع قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: جَنَاهَا[٢] ".

- وأخرج الإمام مسلم عن ثوبان ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:"عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع ".

- قال أبو بكر ابن الأنباري-رحمه الله-:" شبه النبي ﷺ ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمر".

- وقال النووي-رحمه الله- في شرح مسلم: قوله:" عائد المريض في مخرفة الجنة " وفي الرواية الثانية:" خرفة الجنة، قيل: يا رسول الله، ما خرفة الجنة؟ قال: جناها ". أي يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها، واتفق العلماء على فضل عيادة المريض. اهـ.

٥- عائد المريض تدعو له الملائكة:

- فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من عاد مريضًا، [أو زار أخًا له في الله] ناداه مناد من السماء: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنةِ منزلًا ". (صحيح الجامع:٦٣٨٧)

- وجاء في رواية ابن حبان:" إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله تعالى: طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلًا في الجنة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٧٤)

- وأخرج البزار وأبو يعلي وأبو نعيم من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم أتي أخًا له يزوره في الله إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه: زار فيّ، وعليَّ قراه، فلم أرض له بقرى دون الجنة ".

١- الخُرْفَة: بضم الخاء المعجمة وبعدها راء ساكنه، وضبطت بكسر الخاء المعجمة وبفتحها: وهي الثمرة إذا نضجت. وقال الهروي- رحمه الله -: " هو ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره ". يقال: خَرَفْتُ النخلة أخرفها، وخرفة الجنة: أي اجتناء ثمر الجنة.
وقيل المخرفة: الطريق، أي: على طريق تؤديه إلى طريق الجنة. وقيل: وهي سكة بين صفين من نخل يخترف من أيها شاء، أي يجتنى.
٢- جناها: أي ثمرها.

٦- عائد المريض يستغفر له سبعون ألف مَلَك:

– *فقد أخرج أبو داود والترمذي عن عليٍّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:*

"ما من مسلم يَعُودُ مسلمًا غُدْوَةً[١] إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي[٢]، وإن عاده عَشِيَّةً صلى عليه سبعون ألف ملك[٣] حتى يصبح[٤]، وكان له خَرِيفٌ[٥] في الجنة ". (صحيح الجامع:٥٧٦٧)

– *وفي رواية عند الإمام أحمد وأبي داود بلفظ:*" إذا عاد المسلم أخاه مشي في خِرَافَةِ الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته[٦] الرحمة، وما من رجل يعود مريضًا ممسيًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصبحًا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي ". (صحيح الجامع:٦٨٢)

وعند ابن ماجه من حديث عليٍّ ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من أتى أخاه المسلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ".

وعند ابن ماجه أيضًا بلفظ:" ما من أمرئ مسلم يُعودُ مسلمًا إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه في أي ساعات النهار كان حتى يمسي، وأي ساعات الليل كان حتى يصبح ".

٧- عيادة المريض مع بعض خصال الخير سبيل لدخول الجنة:

– *فقد أخرج ابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:*" خمس من عَمِلَهُنَّ في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا وشهد جنازة وصام يومًا، وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة ". (صحيح الجامع:٣١٥٢) (الصحيحة:١٠٢٣)

– *وأخرج مسلم وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*" من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من عاد منكم اليوم مريضًا ؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ : "ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل في يوم إلا دخل الجنة ".

– *وفي رواية:* " ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة ".

---

١ - غدوة: أي أول النهار.
٢ - حتى يمسي: أي لا يزالون يدعون له بالمغفرة والخير، حتى يأتي وقت المساء.
٣ - صلاة الملائكة: هي طلب الرحمة والمغفرة للعبد، فتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه.
٤ - حتى يصبح: أي لا يزالون يدعون له بالمغفرة والخير، حتى يأتي وقت الصباح.
٥- الخريف: الثمر المخروف، أي: المجتنى.
٦ - غمرته: أي علته وغطته وسترته.

هدية من خير البرية-صلى الله عليه وسلم- وبها أختم:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" من عاد مريضًا لم يحضُرْ أجلُه فقال عنده سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَك إلَّا عافاه اللهُ من ذلك المرضِ ".**

- *وفي رواية:*"ما من مُسلمٍ يعودُ مسلمًا، فيقولُ سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللَّهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَكَ؛ إلَّا شُفِيَ؛ إلَّا أن يَكونَ قَد حضرَ أجلُهُ ".

- *وفي رواية:*" ما مِن عبْدٍ مُسلمٍ يعودُ مريضًا لم يحضُرْ أجَلُه، فيقول سبْعَ مرَّاتٍ: أسأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يشفِيَك، إلَّا عُوفِيَ ".

- *وفي رواية:*" فإن كان في أجله تأخير عُوفي من وجعه ذلك ".

وقفة: من رأي مبتلى فحمد الله على العافية؛ لم يُصب بهذا الابتلاء.

فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَن رَأَى مُبتَلًى فقال: الحمدُ للهِ الذي عافَانِي مِمَّا ابْتلاكَ به، و فَضَّلَنِي على كَثيرٍ مِمَّنْ خلق تَفضِيلًا ، لَمْ يُصِبْهُ ذلكَ البلاءُ ".**

(الصحيح:٢٧٣٧) (صحيح الجامع:٨٦٦٧)

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدين والدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك